

حكايات

بحيرة التماسيح

حَربُ الممالِكِ الثَلاثِ

تأليف ورسوم: أحمد زكريا

حَربُ الـمَمالِكِ الثَّلاثِ

The Three Kingdoms war

وَقعَتْ هذِهِ الأَحداثُ الـمُؤسِفَةُ في نِهايَةِ حُكمِ الـمَلِكِ "كا-رون"، لا تَزالُ حِكايَتُها حاضِرَةً لَدى الرّاوي؛ إذْ تَـحوَّلَتْ مِن بَعدِ زَوالِ مَـملَكَةِ "كا-رون" لِأُغنِيَةٍ، تَتَناقَلُها حَيَواناتُ البُحَيرَةِ لِتَكونَ الفَصلَ الأَخيرَ في قِصَّةِ حَياةِ الـمَلِكِ "كا-رون". فَفي صَباحِ أَحَدِ أَيّامِ الصَّيفِ البارِدَةِ وَهِيَ تِلكَ الَّتي ما زالَتْ مُـحَمَّلَةً بِبَهجَةِ الرَّبيعِ، وَنَسَماتِ الشِّتاءِ الرّاحِلِ، وَبَينَما كانَتْ حَيَواناتُ البُحَيرَةِ تَقبَعُ في كَسَلٍ وَخُـمولٍ، وَسَطَ نَسَماتِ الضُّحى البارِدَةِ، استَيقَظَ كُلُّ سُكّانِ البُحَيرَةِ عَلى صَوتٍ مُـخيفٍ كَأَنَّهُ رَعْدُ الشِّتاءِ!

وَلكِنَّ الـجَميعَ يَعلَمُ أَنَّ الشِّتاءَ قَد تَراجَعَ مَدحورًا مُنذُ أَسابيعَ طَويلَةٍ مَضَتْ! وَقَبلَ أَن تَعرِفَ الرُّؤوسُ الَّتي أَطَلَّتْ مِن أَعْشاشِها أَوِ الآذانُ الطَّويلَةُ الَّتي ارتَفَعَتْ مِن جُحورِها، ما هُوَ مَصدَرُ هذا الـهَديرِ الـمُرعِبِ! جاءَتْهُمُ الصَّيحَةُ الثّانِيَةُ أَكثَرَ عُلُوًّا وَإخافَةً مِنَ الصَّيحَةِ الأولى، وَفي لَـحظَةٍ واحِدَةٍ شوهِدَتْ كُلُّ الطُّيورِ وَهِيَ تُغادِرُ أَعْشاشَها، تُـحَلِّقُ في أَسرابٍ مَذعورَةٍ، تَطوفُ بِلا اتِّـجاهٍ، حَتّى أَصابَ أَجنِحَتَها التَّعَبُ، وَامتَلَأَتْ قُلوبُها بِالذُّعرِ، لِـتَعودَ ثانِيَةً لِأَغصانِ الشَّجَرِ ثُمَّ ها هِيَ لا تَلبَثُ أَن تُغادِرَها مِن جَديدٍ مَعَ أَوَّلِ صَيحَةٍ تَتَكَرَّرُ. هكَذا تَعاقَبَتِ الصَّيْحاتُ الَّتي أَخافَتْ تَـماسيحَ البُحَيرَةِ الـمَعروفَةَ بِجَبَروتِها بَينَ الـحَيَواناتِ، فَقَرَّرَتِ الانسِحابَ في هُدوءٍ، وَتَرْكَ الشّاطِئِ لِذلِكَ الغَريبِ الَّذي تَعالى زَئيرُهُ، فَصارَ يَصُمُّ الآذانَ!

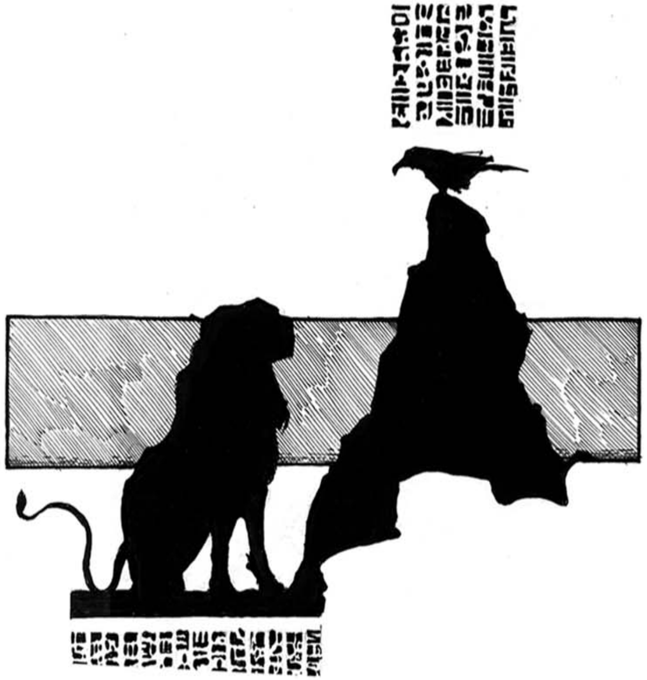


أَمّا شَجَرَةُ النُّسورِ، فَلَم يَنتَفِضْ عَنها سِوى الغِربانِ، الَّتي أَخافَتْها أَصْداءُ زَئيرِ الأَسَدِ، فَغادَرَتْ أَعشاشَها، وَصارَتْ تُحَلِّقُ هُنا وَهُناكَ، بَينَما أَطَلَّتِ النُّسورُ قَلِقَةً نَحوَ شاطِئِ التَّماسيحِ، تَرمُقُ ذلِكَ الأَسَدَ ذا الصَّوتِ الغَليظِ، بِعُيونٍ حائِرَةٍ وَمُنزَعِجَةٍ!

أَيقَظَتْ صَيْحاتُ الأَسَدِ مَلِكَ الشَّجَرَةِ قَبلَ المَوعِدِ الَّذي اعتادَهُ، وَبِالطَّبعِ لَم يَكُنْ مَسرورًا! كَما أَنَّ التِّمساحَ "هاش" سَيِّدَ وَمَلِكَ تَماسيحِ البُحَيرَةِ قَد تَضايَقَ عِندَما شاهَدَ ذلِكَ الغَريبَ، وَقَد حَمَلَ رَعيَّتَهُ عَلى مُغادَرَةِ الشّاطِئِ وَالانسِحابِ لِمِياهِ البُحَيرَةِ البارِدَةِ!... "تُرى مَن يَكونُ ذلِكَ الغَريبُ؟". تَساءَلَ الجَميعُ في حَيرَةٍ!

بَينَما كانَ الأَسَدُ ذو الزَّئيرِ يَلْعَقُ بِلِسانِهِ مِياهَ البُحَيرَةِ، غَيرَ عابِئٍ بِأَيٍّ مِن تَماسيحِها الخَفِيَّةِ أَسفَلَ صَفحَتِها الزَّرقاءِ، وَلا بِأَيٍّ مِن كائِناتِ البُحَيرَةِ الَّتي راقَبَتْهُ وَهِيَ تُثْني عَلى شَجاعَتِهِ وَبَأسِهِ، فَهُوَ بَينَ الحينِ وَالآخَرِ يَمنَحُها صَيحَةً بِصَوتِهِ الجَهْوَرِيِّ لِيُعيدَها لِمَخابِئِها مِن جَديدٍ، إِذْ بِغُرابٍ يَحُطُّ فَوقَ صَخرَةٍ قَريبَةٍ مِنَ الأَسَدِ.

كانَتْ صَخرَةً مُرتَفِعَةً... ظَنَّ الغُرابُ أَنَّهُ سَيَجِدُ فَوقَها شَيئًا مِنَ الأَمنِ وَالوَقتِ، لِيَفِرَّ مُحَلِّقًا لِأَعلى إِذا ما فَكَّرَ الأَسَدُ في الوُثوبِ ناحِيَتَهُ!



كانَ ذلِكَ الغُرابُ هُوَ "عاقْ- ناقْ" رَسولُ المَلِكِ "كا-رون".

أَحيانًا يَتَحَتَّمُ عَلى الغُرابِ الَّذي اختارَهُ المَلِكُ أَن يُواجِهَ حَيَواناتٍ وَمَواقِفَ لا يَتَمَنّى أَن يُواجِهَها في حَياتِهِ العادِيَّةِ، تَمامًا كَما حَدَثَ لَهُ في ذلِكَ اليَومِ، وَلكِن عَلى أَيَّةِ حالٍ، فَرَسولُ المَلِكِ هِيَ وَظيفَةٌ شَرَفِيَّةٌ لا بَأْسَ بِها. وَجَميعُ كائِناتِ البُحَيرَةِ تُوَقِّرُهُ وَتَحمِلُ لَهُ الاحتِرامَ البالِغَ بِسَبَبِ هذا المَنصِبِ الرَّفيعِ، وَالَّذي بِسَبَبِهِ لَم يَتَعَرَّضْ لِأَيٍّ مِنَ المُشكِلاتِ أَو يَقَعْ في الأَذى مِن أَيٍّ مِنها، وَلكِنَّ هذا الغَريبَ لَم يَكُنْ واحِدًا مِنهُم! لِذلِكَ لَم يَكُنْ هُناكَ مَن يَعرِفُ أَو يَتَوَقَّعُ كَيفَ سَتَنتَهي المُقابَلَةُ!

عِندَما عَبَرَ الغُرابُ "عاقْ- ناقْ" البُحَيرَةَ، كانَتْ كَلِماتُ الـمَلِكِ "كا-رون" لا تَزالُ تَتَرَدَّدُ في رَأسِهِ ذي الرِّيشِ الأَسْوَدِ: **"اذهَبْ وَانظُرْ مَن يَكونُ!".**

"إحم... إحم..."! قالَ الغُرابُ وَهُوَ يَقِفُ على مَقرُبَةٍ مِنَ الأَسَد. عِندَها تَوَقَّفَ الأَسَدُ عَن لَعْقِ صَفحَةِ مِياهِ البُحَيرَةِ، وَمَنَحَهُ نَظرَةَ احتِقارٍ مَصحوبَةً بِزَأْرَةٍ قَصيرَةٍ، بَدَتْ كَسَبٍّ بِلُغَةٍ غَريبَةٍ لَـم يَتَعَلَّمْها الغُرابُ بَعدُ(1)، ثُمَّ عادَ وَاستَأنَفَ لَعْقَ الـمِياهِ!

هُنا لَـم يَـجِدِ الغُرابُ أَمامَهُ سِوى مُواصَلَةِ حَديثِهِ، فَقالَ: **"إحم... إحم... عُذرًا أَيُّها الغَريبُ... سَأنتَظِرُكَ حَتّى تَفرَغَ".** وَهكَذا اُضطُرَّ الأَسَدُ أَنْ يُنهِيَ شَرابَهُ مُتَعَجِّلًا، وَالْتَفَتَ نَحوَ الغُرابِ، وَقالَ لَهُ بِلُغَةِ الأُسودِ: **"مَن أَنتَ؟ وَماذا تُريدُ؟".**

"عاقْ- ناقْ... الغُرابُ... عاقْ- ناقْ في خِدمَتِكَ أَيُّها السَّيِّدُ، أَمّا ما أُريدُ... فَلا شَيءَ سِوى أَنّي أَنقُلُ رِسالَةً قَصيرَةً مِن سَيِّدِ البُحَيرَةِ وَمَلِكِ الشَّجَرَةِ الـمَلِكِ "كا- رون" العَظيمِ". وَهُنا نَظَرَ إِلَيهِ الأَسَدُ في استِهزاءٍ، كَمَن يَستَنكِرُ كُلَّ ما يَسمَعُ وَلا يَـجِدُ في نَفسِهِ الحاجَةَ لِيُبدِيَ اعتِراضَهُ فَالـجَميعُ يَعلَمُ أَنَّ الأُسودَ هُم مُلوكُ الـحَيَواناتِ قاطِبَةً، وَما مِن مَـخلوقٍ قَد يُنكِرُ هذِهِ الـحَقيقَةَ! وَإِزاءَ صَمْتِ الأَسَدِ الـمُريبِ، اُضطُرَّ الغُرابُ لِأَن يُكمِلَ باقِيَ كَلِماتِ الرِّسالَةِ القَصيرَةِ الَّتي يَـحمِلُها مِن شَجَرَةِ النُّسورِ، فَقالَ:

(1) وَفقًا لِشَرحِ الرّاوي، كانَتِ الغِربانُ مِن أَكثَرِ حَيَواناتِ البُحَيرَةِ مَعرِفَةً بِلُغاتِ الحَيَواناتِ الأُخرى؛ لِذلِكَ فَضَّلَتْها نُسورُ الشَّجَرَةِ، وَاتَّخَذَتْ مِنها السُّفَراءَ وَالرُّسُلَ.

"إِنَّ سَيِّدي الـمَلِكَ "كا-رون" يَنظُرُ بِعَينِ العَطفِ لِكُلِّ الغُرَباءِ وَالـمُسافِرينَ الرَّحّالَةِ الَّذينَ يَفِدونَ عَلى البُحَيرَةِ؛ طَمَعًا في الارْتِواءِ مِن مِياهِها العَذْبَةِ، وَهُوَ يُرَحِّبُ بِهِم في كُلِّ وَقتٍ وَلكِنْ... وَلكِنْ! كَرَمُ ضِيافَتِهِ اللّا مَـحدودُ يَـجِبُ أَلّا يُتَّخَذَ مِنْهُم كَذَريعَةٍ، فَيُسيئونَ بِها التَّصَرُّفَ في مَـملَكَتِه العامِرَةِ! في الـحَقيقَةِ، لَقَد أَقْلَقَ صِياحُكُمُ الـمُستَمِرُّ بِلا سَبَبٍ نَوْمَ مَليكِنا وَأَزعَجَهُ... وَ...!!".

في هذِهِ اللَّحظَةِ تَـحديدًا، قَطَعَ الأَسَدُ الغاضِبُ صَمْتَهُ، وَمَنَحَ الغُرابَ صَيحَةً مُـخيفَةً، فاقَتْ كُلَّ الزَّئيرِ الَّذي سُمِعَ مِن قَبلُ! حَتّى إِنَّ بَعضَ النُّسورِ الصَّغيرَةِ وَجَدَتْ أَجنِحَتَها تَـحمِلُها بَعيدًا عَنِ الشَّجَرَةِ، في مَشهَدٍ جَلَبَ العارَ على كُلِّ النُّسورِ مُذْ ذلِكَ اليَومِ، أَمّا الغُرابُ الـمِسكينُ، فَقَد قَفَزَ في اللَّحظَةِ الأَخيرَةِ مِن فَوقِ الصَّخرَةِ الَّتي اتَّضَحَ لَهُ أَنَّها لَـم تَكُنْ عالِيَةً بِما فيهِ الكِفايَةُ لِتَحفَظَ حَياتَهُ مِن غَضبَةِ الأَسَدِ... وَمِن فَوقِ تِلكَ الصَّخرَةِ الَّتي اعْتَلاها الأَسَدُ بَعدَ أَن غادَرَها الغُرابُ الـمَذعورُ وَهُوَ يَضرِبُ بِجَناحَيهِ الـهَواءَ، لِيَحمِلاهُ عالِيًا بَعيدًا عَن مَـخالِبِ الأَسَدِ وَأَنيابِهِ الحادَّةِ، صاحَ الأَسَدُ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ لا يَـختَلِفُ عَن زَئيرِهِ:

"قُلْ لِسَيِّدِكَ؛ ذلِكَ النَّسرِ المُدَّعي المُلكَ : إِنَّ "أوزيرَ" (1) هُوَ مَلِكُ البَرِّيَّةِ وَالسَّيِّدُ الوَحيدُ الشَّرعِيُّ لِكُلِّ الـحَيَواناتِ!!".

(1) "أوزيرُ" في لُغَةِ حَيَواناتِ البُحَيرَةِ تَعني أَسَدًا، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُشتَقَّةٌ مِن صَوتِ الأَسَدِ الجَهوَرِيِّ المَعروفِ بِالزَّئيرِ، توجَدُ أَرضٌ واسِعَةٌ مِنَ البَراري تَقَعُ جَنوبَ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ، تُسَمّى بَرِّيَّةَ "أوزيرَ"، وَمِن قَبلُ كانَ



كانَ هذا التَّصريحُ بِمَثابَةِ تَهديدٍ وَعَداوَةٍ صَريحَةٍ، فَمِن قَبلُ لَم يَتجَرَّأْ أَيٌّ مِن سُكّانِ البُحَيرَةِ عَلى مِثلِ تِلكَ الـمَقولَةِ، حَتّى الـمَلِكُ "هاش" سَيِّدُ التَّماسيحِ، عِندَما نَصَّبَ نَفسَهُ مَلِكًا عَلى شَعبِهِ مِن وُحوشِ البُحَيرَةِ العِملاقَةِ، لَم يَأخُذْ أَيٌّ مِن نُسورِ الشَّجَرَةِ مَقولَتَهُ بِشَيءٍ مِنَ الـجِدِّيَّةِ!! وَيُمكِنُ القَولُ بِأَنَّ الكَثيرَ مِن تَـماسيحِ البُحَيرَةِ لَـم تَعترِفْ بِهِ سَيِّدًا عَلَيها، وَلكِنَّ مُـخاطَبَةَ رَسولِ الـمَلِكِ بِمِثلِ هذِهِ الكَلِماتِ، هِيَ بِمَثابَةِ إعلانِ حَربٍ عَلى مَـملَكَةِ الـجَبَلِ الأَخضَرِ، أَو شَجَرَةِ النُّسورِ! شَعَرَ الغُرابُ بِأَنَّ الـمَوقِفَ صارَ أَكثَرَ سوءًا مِن كُلِّ الرَّسائِلِ الَّتي حَـمَلَها أَو نَقَلَها مِن قَبلُ، وَلكِنْ، عَلى أَيَّةِ حالٍ هُوَ مُـجَرَّدُ رَسولٍ، لا يَـجِبُ أَن يَنْسى هذا، رُبَّما يَكونُ هذا الأَسَدُ في الـمُستَقبَلِ هُوَ سَيِّدُهُ الـجَديدُ، وَمَن سَيَنقُلُ رَسائِلَهُ لِلآخَرينَ، وَهكَذا قَرَّرَ الغُرابُ أَن يَلتَزِمَ بِكُلِّ قَواعِدِ الـحِرَفِيَّةِ في مُهِمَّتِهِ، فَلَم يُعرِبْ عَن أَيِّ شَيءٍ يَتَعَلَّقُ بِرَأيِهِ فيما سَمِعَ، وَاكتَفى بِأَن قالَ:

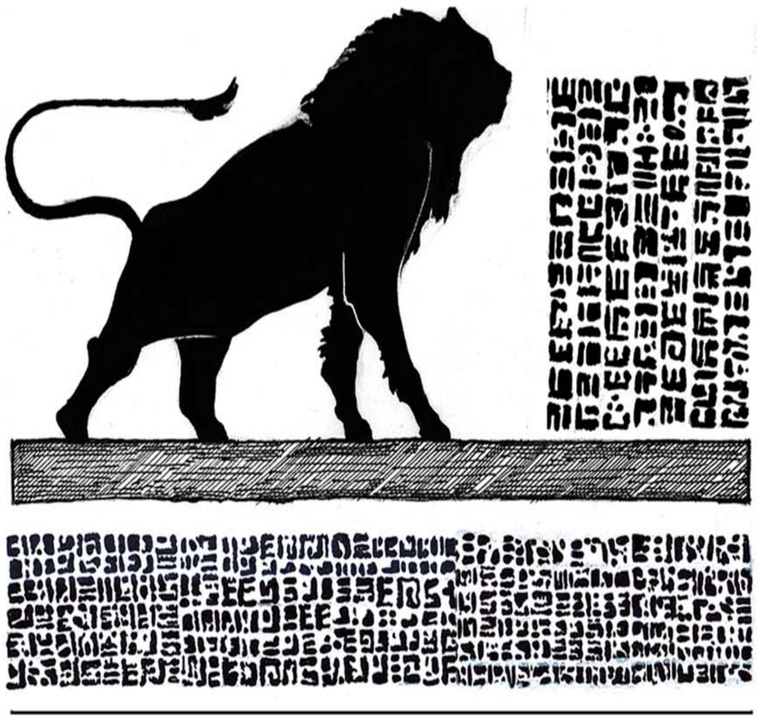
"إذا كانَ هذا هُوَ رَدَّكَ، فَسَأَحـمِلُهُ نِيابَةً عَنكَ إلى الـمَلِكِ.

هذا ما تَفعَلُهُ الرُّسُلُ، لا شَيءَ أَكثَرَ وَلا أَقَلَّ!".

وَهذا بِالضَّبطِ ما فَعَلَهُ الغُرابُ، لِيَعُمَّ بَعدَهُ القَلَقُ وَالاضطِرابُ بَينَ نُسورِ الشَّجَرَةِ!

مَلِكٌ عَظيمٌ مِنَ الأُسودِ في زَمَنِ غابَةِ الموهِ، يُسَمّى الأَسَدَ "أوزيرَ" وَالَّذي مِن بَعدِ رَحيلِهِ تَوارَثَ أَبناؤهُ وَأَحفادُهُ اسمَ جَدِّهِم، فَصارَ لَقَبًا لَهُم. وَعَلى أَيِّ حالٍ، فَحَيَواناتُ البُحَيرَةِ تُسَمّي كُلَّ أَسَدٍ يَرِدُها لِشُربِ الماءِ "أوزيرَ"؛ تَيَمُّنًا بِذلِكَ الأوزيرِ العَظيمِ، وَتوجَدُ عَشَراتُ القِصَصِ الَّتي سَمِعتُها مِنَ الرّاوي عَن "أوزيرَ" هذا وَمَملَكَتِهِ، مُعظَمُها بِعُنوانِ دَمارٍ أَو خَرابِ مَملَكَةِ "أوزيرَ"، وَهِيَ في مُجمَلِها تَتَحَدَّثُ عَنِ المَلِكِ الأَسَدِ الَّذي أَساءَ الحُكمَ، فَأَضاعَ مُلْكَهُ وَخَذَلَ رَعِيَّتَهُ. ما زِلتُ أُفَكِّرُ في جَمعِها في كِتابٍ بَعدَ انتِهائي مِن تَدوينِ مَملَكَةِ الشَّيطانِ بانوسَ، وَمَملَكَةِ الجَبَلِ الأَخضَرِ- عَصرِ الظَّلامِ، وَرُبَّما عِندَها قَد تَكونُ هُناكَ فُرصَةٌ طَيِّبَةٌ لِلتَّعَرُّفِ عَلى عالَمِ الحَيَواناتِ البَعيدَةِ عَنِ البُحَيرَةِ.

مِن فَوقِ مَكانٍ مُرتَفِعٍ في السَّماءِ، تَطَلَّعَتْ نُسورُ البُحَيرَةِ لِلأَسَدِ الغَريبِ، وَالَّذي كانَ يُبادِلُـها النَّظَراتِ الحادَّةَ الَّتي غابَ عَنها الـخَوفُ أَوِ التَّرَدُّدُ، بِرَغمِ عَدَمِ سَماعِهِ لِأَيٍّ مِنَ الـهَمَساتِ الَّتي تَـحَرَّكَتْ عَبرَ فُروعِ وَأَغصانِ الشَّجَرَةِ، تَتَناقَلُ الـحِكاياتِ الغَريبَةَ عَنِ الـمَلِكِ الأَسَدِ "أوزير" سَيِّدِ بَرِّيَّةِ "أوزير"، وَهَل هُوَ نَفسُهُ هذا الوَحشُ الواقِفُ عِندَ طَرَفِ البُحَيرَةِ، أَم أَنَّهُ أَحَدُ أَحفادِهِ؟



تَبادَلَ الـجَميعُ كُلَّ القِصَصِ وَالـحِكاياتِ الـمُرَوِّعَةِ عَن حُكمِ "أوزير" الظّالِـمِ، وَكَيفَ جَلَبَ الـهَلاكَ عَلى شُعوبِهِ، وَالآنَ يَقِفُ عِندَ شاطِئِ البُحَيرَةِ مَن يَـحمِلُ دِماءَ ذلِكَ الـمَلِكِ الطّاغِيَةِ، لِيَنشُرَ الـخَرابَ في مَـملَكَةِ البُحَيرَةِ!

لَـم يَكُنِ القَلَقُ الَّذي انتَشَرَ في الشَّجَرَةِ بِأَقَلَّ مِن ذلِكَ الَّذي تَسَرَّبَ حَولَ البُحَيرَةِ وَعَبرَ أَودِيَتَها وَغاباتِها الصَّغيرَةِ. الكَثيرُ مِنَ الـحَيَواناتِ صارَتْ تَتَحَدَّثُ حَولَ مَعرَكَةٍ تَكادُ تَلوحُ في الأُفُقِ بَينَ الأَسَدِ وَالنَّسرِ الـمَلِكِ!



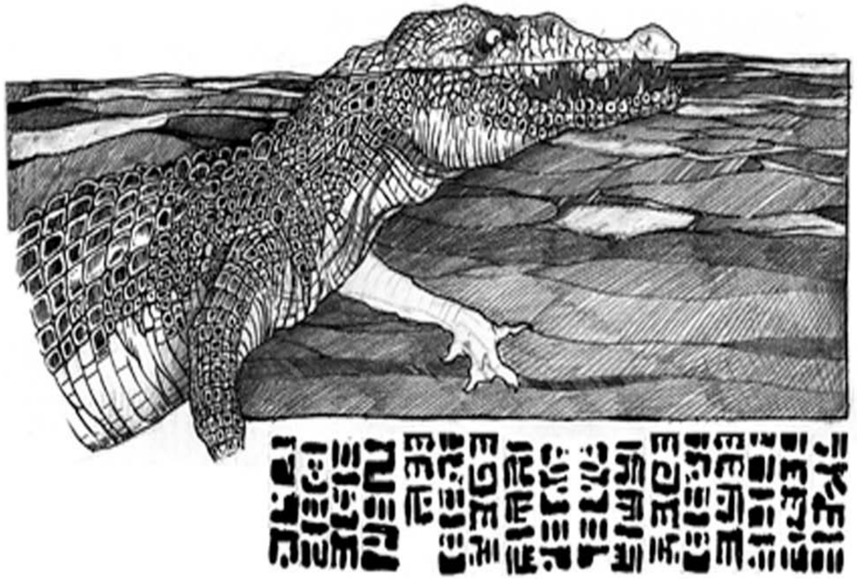
بَعدَ أَنِ انتَهى الأَسَدُ "أوزير" مِنَ الشُّربِ، غادَرَ شاطِئَ البُحَيرَةِ الرَّمْلِيَّ، وَتَسَلَّقَ الصُّخورَ الرَّمادِيَّةَ لِتِلالِ "نارْتين"... وَهُناكَ خَلفَ الكَهفِ الكَبيرِ الَّذي صَنَعَهُ شَلّالُ "نارْتين"

اتَّخذَ الأَسَدُ عَرينَهُ الـجَديدَ، وَبَينَ حينٍ وَآخَرَ كانَ يَمنَحُ حَيواناتِ البُحَيرَةِ صَيحَةَ زَئيرٍ، سُرعانَ ما تُضَخِّمُها جُدرانُ الكَهفِ فَتُلقي الفَزَعَ وَالرُّعبَ في قُلوبِ كُلِّ مَن يَسمَعُها! وَفي أَعلى الشَّجَرَةِ، كانَ الـمَلِكُ "كا-رون" يَستَمِعُ لِكَلِماتِ الغُرابِ الرَّسولِ، وَهُوَ يَـختَنِقُ مِنَ الغَضَبِ وَالغَيظِ!

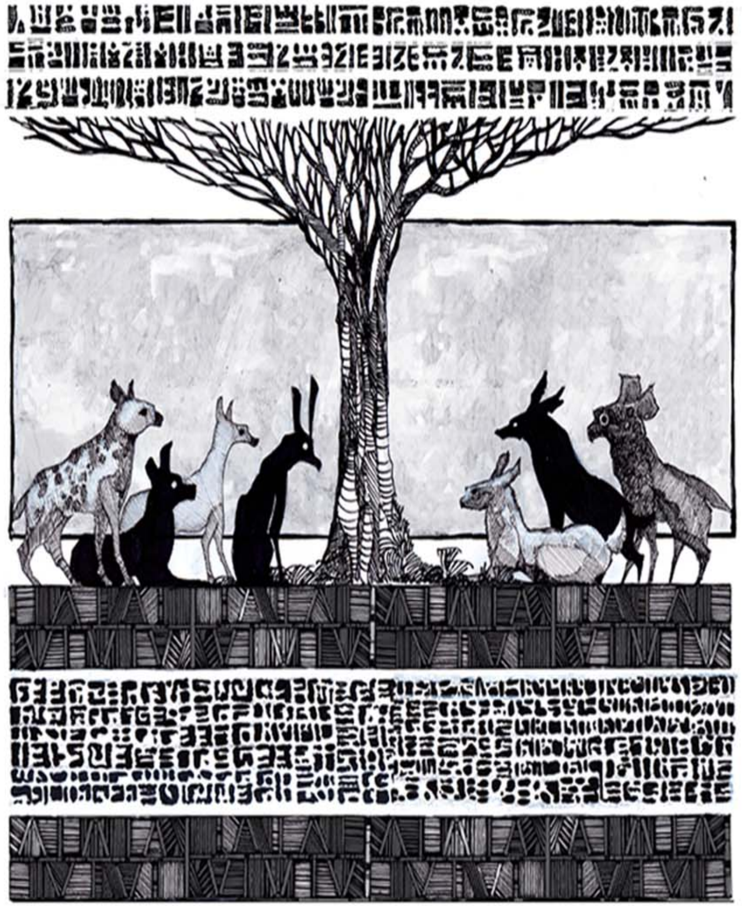


كَذلِكَ أَسفَلَ مِياهِ البُحَيرَةِ، تَـحَدَّثَ الـجَميعُ عَنِ الوَحشِ القادِمِ مِنَ الـجَنوبِ! لَـم تَكُنِ الأَسماكُ أَو كائِناتُ الماءِ تَعرِفُ شَيئًا عَن هَيئَتِهِ، وَلكِنَّ الأَوصافَ الغَريبَةَ الَّتي مَنَحَتْها تَـماسيحُ البُحَيرَةِ لِلأَسَدِ "أوزيرَ" جَعَلَتْهُ أَجدَرَ بِالـمُلكِ مِنَ التِّمساحِ "هاش"!

وَعِندَما عَلِمَ بِذلِكَ "هاش" مَلَأَهُ الـحِقدُ وَالغَضَبُ! وَعَرَفَ الـجَميعُ أَنَّ "هاش" يُريدُ مُصارَعَةَ الأَسَدِ وَمُـجابَهَتَهُ، وَلكِنَّهُ عِندَما طَلَبَ مُساعَدَةَ شَعبِ التَّماسيحِ لَهُ في الـمَعرَكَةِ، عارَضَتْهُ التَّماسيحُ بِأَن قالَتْ: "إِنَّ الأَسَدَ لَـم يُنازِعْها في شَيءٍ سِوى في لَقَبِ الـمَلِكِ، وَإِنَّ هذا اللَّقَبَ هُوَ مَنْ يَختَصُّ بِهِ، "هاش" هوَ الَّذي أَرادَ أَن يَكونَ مَلِكًا، وَهُوَ الـمَعنيُّ بِهذا الأَمرِ، وَإِنْ كانَ الـمَلِكُ "هاش" غَيرَ قادِرٍ عَلى الدِّفاعِ عَن لَقَبِهِ، فَعِندَها يَكونُ غَيرَ جَديرٍ بِهِ". وَهكَذا ازدادَ غَضَبُ "هاش"!



في مَساءِ تِلكَ اللَّيلَةِ، اجتَمَعَتِ الذِّئابُ وَقُطعانُ كِلابِ ابنِ آوى، وَأَرسَلَتْ حَيَواناتُ "العَينور"(1) مَن يَنوبُ عَنها في ذِلكَ الاجتِماعِ، وَتَجالَسوا خِلالَ حَلْقَةٍ عَظيمَةٍ جَعَلوها حَولَ شَجَرَةِ الزَّهرَةِ السَّوداءِ... كانَ جَميعُهُم مِن آكِلي الجِيَفِ، وَعِندَما سَرَتِ الأَخبارُ بِأَنَّ حَربًا عَظيمَةً عَلى وَشْكِ الحُدوث بَينَ المُلوكِ الثَّلاثَةِ، سُرعانَ ما اعتَقَدَتِ الذِّئابُ، أَنَّهُ إذا سارَتْ هذِهِ الحَربُ عَلى النَّحوِ المُناسِبِ، فَسَيَكونُ هُناكَ الكَثيرُ مِن جُثَثِ الحَيَواناتِ الَّتي سَتُخَلِّفُها تِلكَ المَعارِكُ... وَقَد أَيَّدَتْها ضِباعُ العَينورِ في هذا الأَمرِ، وَلَم تَعتَرِضْ كِلابُ ابنِ آوى، وَوَضَعَ الثَّعلَبُ الَّذي تَرَأَّسَ ذلِكَ الاجتِماعَ الخُطَّةَ، الَّتي تَقْضي بِأَن يَتَحالَفَ أَبناءُ كُلِّ عَشيرَةٍ مَعَ أَحَدِ المُلوكِ المُتَحارِبينَ لِيَتَشَجَّعَ المَزيدُ مِنَ الحَيَواناتِ عَلى الدُّخولِ في أَحلافٍ، وَتُقاتِلَ بِاسمِ مَلِكٍ مِنَ المُلوكِ، وَهكَذا تَنشَبُ مَعرَكَةٌ عَظيمَةٌ بَينَ الحَيَواناتِ، وَيَسقُطُ فيها الكَثيرُ مِن جُثَثِ القَتْلى، وَأَشلاءِ الضَّحايا... وَتَعاهَدَتِ الكِلابُ وَالذِّئابُ وَالعَينورُ عَلى عَدَمِ الاقتِتالِ فيما بينهم إنْ دارَتْ رَحى الحَربِ الَّتي سَيوقِدونَها... وَفي الصَّباحِ، أَرسَلَ الذِّئبُ الغُرابَ لِمَلِكِ النُّسورِ؛ لِيُعْلِمَهُ أَنَّ كُلَّ ذِئابِ البُحَيرَةِ تَقِفُ مِن خَلفِهِ، وَفي المَساءِ، ذَهَبَ العَينورُ لِيَتَعَهَّدَ بِقَسَمٍ يَشمَلُهُ وَيَشمَلُ كُلَّ عَشيرَتِهِ بِأَنَّهم سَتَقِفُ خلفَ "أوزير" سَيِّدِ البَرِّيَّةِ وَالعالَمِ أَجمَعَ، وَهكَذا لَم يَتَبَقَّ سِوى الكَلبِ الَّذي سارَعَ بِالصِّياحِ عِندَ شاطِئِ البُحَيرَةِ، يَستَدعي تِمساحَها الكَبيرَ "هاش"، لِكَي يَتَعَهَّدَ أَمامَهُ بِقَسَمِ الوَلاءِ بِأَن يُحارِبَ مَعَهُ لاستِحقاقِ لَقَبِه.



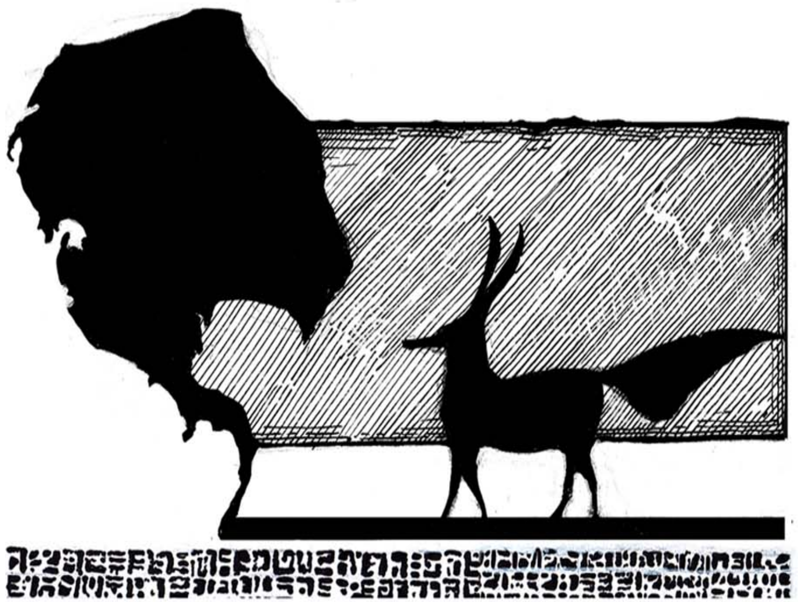
وَلكِنَّ الأَمرَ لَم يَتَوَقَّفْ عِندَ هذا الحَدِّ، فَكُلُّ هؤلاءِ لَم يَكونوا سِوى مِنَ المُخَطِّطينَ وَالمُنتَفِعينَ مِنَ الحَربِ القادِمَةِ؛ لِذا ذَهَبَ الثَّعلَبُ وَطَلَبَ الاستِئذانَ في مُقابَلَةِ المَلِكِ الأَسَدِ "أوزير"

(1) العَينورُ: المَقصودُ هُنا حَيَوانُ الضَّبعِ؛ وَتُسَمّيهِ حَيَواناتُ البُحَيرَةِ "العَينورَ"، إذْ تَعتَقِدُ تِلكَ الحَيَواناتُ أَنَّ ضَوءًا سِحريًّا يَنبُعُ مِن عَينِ الضَّبعِ في الظَّلامِ، فَأَطلَقَتْ عَلَيهِ هذِهِ التَّسمِيَةَ، وَهِيَ مِن مَقطَعَينِ "عَين" وَ"نور" وَتُنطَقُ هكَذا بِلُغَةِ الإنسانِ "عَينور"، وَالحَقيقَةُ أَنَّ الأَصلَ في هذِهِ التَّسمِيَةِ وَتِلكَ الظاهِرَةِ يَرجِعُ إلى تِلكَ الهالَةِ الغِشائِيَّةِ اللامِعَةِ فَوقَ عَينِ الضَّبعِ وَالَّتي تَجعَلُ عَينَهُ تَعكِسُ أَيَّ نورٍ وَلَو صَغيرًا قَد يَلمَعُ في عَتَماتِ اللَّيلِ! وَهكَذا تَبدو عَينُهُ كَما لَو كانَتْ تُضيءُ في اللَّيلِ.

الَّذي صارَ عَرينُهُ يَحرُسُهُ جَماعَةٌ مِن حَيَواناتِ العَينورِ... وَبَعدَ أن مُنِحَ الإذنَ، وَقَفَ الثَّعلبُ مُخاطِبًا الأَسَدَ:

"سَيِّدي الأَسَدَ، عَظيمَ بَرِّيَّةِ "أوزيرَ" وَسَيِّدَ البُحَيرَةِ بِلا مُنازِعٍ، وَالمُستَحِقَّ الحَقيقيَّ لِلَقَبِ المَلِكِ... تَعلَمُ أَنَّ هذا المُدَّعِيَ "كا-رون" وَالَّذي تَسَلَّطَ عَلى البُحَيرَةِ، يُعِدُّ العُدَّةَ لِقِتالِكَ، وَإِنَّ مِن وَرائِهِ الغِربانَ وَالنُّسورَ وَالصُّقورَ وَطُيورَ الحِدَأَةِ، وَهُوَ يَستَطيعُ أَن يَحشُدَ كُلَّ طُيورِ السَّماءِ لِتُقاتِلَ إلى جانِبِهِ، وَإِنَّ جَلالَتَكم -وَأنا أعلَمُ أَنَّكم- قادِرونَ عَلى الانتِصارِ عَلى كُلِّ خُصومِكُم، بِما لَدَيكُم مِن شَجاعَةٍ وَبَأْسٍ وَقتَ النَّوازِلِ، إلّا أَنَّ الكَثرَةَ قَد تُضعِفُ الهِمَمَ، وَإِنّي أَرى اليَومَ أَنَّكَ جَمَعتَ مِن حَولِكَ العَينورَ، وَهُم بِالفِعلِ أَهلُ حَربٍ وَقِتالٍ، وَإِنَّكُم قَد أَصَبتُم في عَمَلِكُم هذا، وَهِيَ خُطوَةٌ تَستَحِقّونَ عَلَيها التَّحيَّةَ وَالثَّناءَ، وَلكِنَّ الذِّئابَ الماكِرَةَ أعداءَ العَينورِ قَد اجتَمَعَتْ هِيَ الأُخرى وَأَقسَمَتْ عَلى أَن تُحارِبَ مَعَ النَّسرِ!

وَهكَذا فقَد تَفَرَّدَ عَدُوُّكَ بِسُلطانِ السَّماءِ، وَلَهُ مَن يُحارِبُ بِاسمِهِ عَلى الأَرضِ؛ لِذا أَرى أَنَّ الحِكمَةَ تَقتَضي مِن جَلالَتِكُم أَن تَستَدعِيَ جُمهورَ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ وَتُطالِبَهُم بِأَن يَقِفوا مَعَكَ في المَعرَكَةِ".



قالَ "أوزيرُ": **"هَل تَطلُبُ مِنّي أَن أَسأَلَ الغِزْلانَ وَالجاموسَ وَحَميرَ البَرِّيَّةِ أَن يُحارِبوا إلى جانِبي؟!".**

الثَّعلَبُ: **"وَلِمَ لا؟ أَلَيسَتِ الأَرضُ أَرضَهُم، تِلكَ الَّتي يَدَّعي مُلْكَها النَّسرُ؟ أَلا توجَدُ بَينَهُم وَبَينَ عَشيرَةِ النُّسورِ الكَثيرُ مِنَ الخِلافاتِ وَالمُشاحَناتِ القَديمَةِ! أَوَ لَم تَكُنِ النُّسورُ تَختَطِفُ صِغارَهُم وَتَجتَمِعُ عَلى مَرضاهُم، فَتَفتِكُ بِهِم! صَدِّقْني، لَو أَنَّ دَعوَةً صَدَرَتْ عَن جَنابِكُم، فَلا أَحَدَ يَعلَمُ مَن يُجيبُها!".**

الأَسَدُ: **"وَما نَفْعُ هؤلاءِ وَقتَ القِتالِ؟".**

الثَّعلَبُ: **"في الحَقيقَةِ، أُشارِكُكَ الرَّأيَ، أَنَّهُ لا نَفْعَ مِنهُم فيما عَدا القُرونَ وَضَرَباتِ حَوافِرِ أَرجُلِهِمُ المُميتَةَ!".**



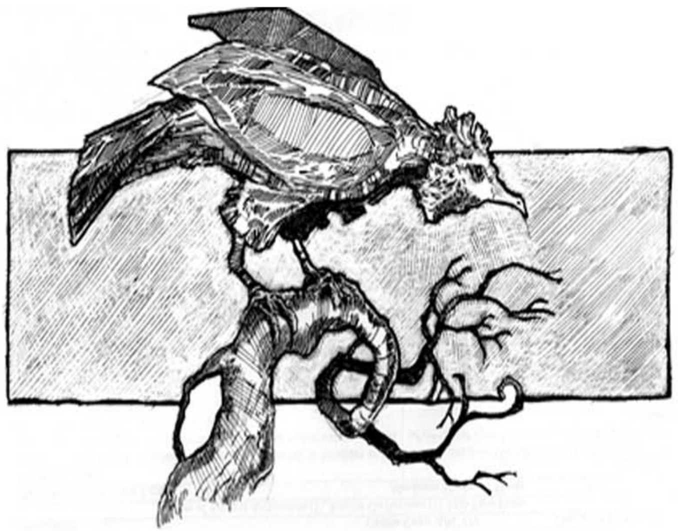
الأَسَدُ: "**إنّـي أذكُرُ تلكَ الأُمورَ وَأعرفُها جَيِّدًا، وَلكِن ماذا عَنكَ؟ لَقَد عَرَفتُ أَنَّ الكِلابَ قَد تَعَهَّدَتْ بِالوَلاءِ لِـمُدّعي مُلْكٍ آخَرَ يُدْعى التِّمساحَ "هاش"، مِنَ الواضِحِ أَنَّ عَشيرَةَ الكِلابِ وَالذِّئابِ لا تُـحسِنُ اختِيارَ الجانِبِ الأَقوى في الـمَعرَكَةِ، وَإنّـي لِأَتَساءَلُ... لِأَيِّ جانِبٍ تَضَعُ وَلاءَكَ أَيُّها الثَّعلَبُ الصَّغيرُ؟**".

الثَّعلَبُ: "**بِالطَّبعِ، وَلائي لَكَ يا سَيِّدَ البَرِّيَّةِ، وَحَتّى تَظفَرَ بِالنَّصرِ الكامِلِ، سَأكونُ عَينَكَ الَّتي تُبصِرُ بِها وَأُذُنَكَ الَّتي تَسمَعُ بِها، وَلكِنّي مَهما بَلَغتُ فَلَن أَستَطيعَ أَن أَكونَ صَوتَكَ الَّذي تَـجهَرُ بِهِ، فَأَمهِلْني حَتّى يُتَمِّمَ سَعيُكَ بِالنَّصرِ الكامِلِ لَكَ، أَلّا أُعلِنَ وَلائي الـحَقيقيَّ بَينَ الـحَيَواناتِ؛ لِأَنَّ إخفاءَهُ سَيُسَهِّلُ مُهِمَّتي في جَـمْعِ جَيشٍ لَكَ، يَليقُ بِعَظَمَتِكَ**".

في النِّهايَةِ، وافَقَ الـمَلِكُ "أوزيرُ" عَلى خُطَّةِ الثَّعلَبِ، وَأَمهَلَهُ ثَلاثَةَ أَيّامٍ لِيَحشُدَ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ إلى جانِبِهِ... وَهكَذا كانَ الثَّعلَبُ يَتَحَرَّكُ لَيلَ نَهارَ، يَستَحِثُّ الـحَيَواناتِ عَلى نُصرَةِ الـمَلِكِ الأَسَدِ ثُمَّ يُنادي عَلى الطُّيورِ، يَستَحِثُّها عَلى نُصرَةِ الـمَلِكِ النَّسرِ، وَفي الـحَقيقَةِ كانَ يَشعُرُ بِالفُضولِ مَن قَد يَقِفُ مِنَ الـحَيَواناتِ إلى جانِبِ التَّماسيحِ في مَعرَكَتِها، فَلَم يَـجِدْ إلّا الثَّعابينَ وَالسَّحالـيَ، وَكُلَّ تِلكَ الكائِناتِ القَبيحَةِ وَالـمُخيفَةِ مِن ذَواتِ الدِّماءِ البارِدَةِ الَّتي تَسكُنُ مَدينَةَ الشُّقوقِ، وَقَد وافَقَتْ جَـميعُها عَلى الـمُحارَبَةِ إلى جِوارِ التَّماسيحِ!

هذِهِ التَّحَرُّكاتُ الـمُريبَةُ لِلثَّعلَبِ، وَمُجالَسَتُهُ لِلطُّيورِ سُرعانَ ما جَذَبَت انتِباهَ السَّيِّدَةِ "ساشا" زَعيمَةِ الطُّيورِ طَويلَةِ العُنُقِ في شَرقِ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ!

لَقَد تَعَجَّبَتْ "ساشا" ماذا قَد يَفعَلُ الثَّعلَبُ بَينَ أَعشاشِ الطُّيور، وَما هِيَ الأَخبارُ العَظيمَةُ الَّتي يَأتي بِها مَـخلوقٌ لَـم تَعرِفْ عَنهُ الطُّيورُ إِلّا السَّرِقَةَ وَالـخَديعَةَ؟! وَلَـمّـا أَخبَرَها أَفرادُ عَشيرَتِها، أَدرَكَتْ "ساشا" بِأَنَّ الـمَجنونَ يَتَحَرَّكُ مِثلَ وَطْواطٍ لا يَنامُ بَينَ كُلِّ سُكّانِ البُحَيرَةِ، وَأَنَّ هُناكَ يَدًا خَبيثَةً تَسْعى لِلوَقيعَةِ بَينَ كُلِّ كائِناتِ البُحَيرَةِ، خاصَّةً عِندَما عَلِمَتْ مِن خِلالِ تَـحَرِّياتِها بِأَنَّ الذِّئابَ قَد تَعَهَّدَتْ بِالقِتالِ إِلى جانِبِ مَلِكِ النُّسورِ، وَقَد تَـحالَفَتِ الكِلابُ البَرِّيَّةُ مَعَ مَلِكِ التَّماسيحِ "هاش"، وَفَعَلَتِ الضِّباعُ مِثلَهُم، وَلكِن مَعَ الأَسَدِ "أوزيرَ"، وَلكِنَّها لَـم تَستَطِعِ الرَّبطَ بَينَ الثَّعلَبِ وَبَينَ كُلِّ ما يَـجْري؛ لِأَنَّها لَـم تَعرِفْ أَبَدًا أَينَ يَقَعُ وَلاؤُهُ!



ذَهَبَتْ "ساشا" إِلى الـمَلِكِ النَّسرِ، وَخاطَبَتْهُ بِأَنَّهُ سَيِّدُ السَّماءِ وَمَلِكُها، وَسَأَلَتْهُ...

"ما الضَّرَرُ الَّذي قَد يَـحمِلُهُ أَسَدٌ يُعَفِّرُ أَقدامَهُ في تُرابِ الأَرضِ عَلَيكَ؟ وَطالَبَتْهُ أَن يَنظُرَ إِلى التِّمساحِ ذي الذَّنَبِ، كَأَنَّهُ سَمَكَةٌ كَبيرَةٌ، هَل مِثلُ هذا قَد يُعَوَّلُ عَلى كَلامِهِ؟! اترُكْهُ لِيَكونَ مَلِكَ الماءِ".



قالَ "كارون": **"إِنَّني أَصطادُ مِنَ الماءِ، وَأَصطادُ مِنَ الأَرضِ، وَإِنْ لَـم يَعتَرِفْ بي أَهلُ الأَرضِ وَأَهلُ الماءِ مَلِكًا وَسَيِّدًا عَلَيهِم، فَما نَفْعُ أَن أَكونَ مَلِكًا عَلى السَّماءِ وَحدَها وَهِيَ فارِغَةٌ كَما تَرَيْنَ! ثُمَّ إِنَّ مَن يَتَنازَلُ عَن جُزءٍ وَلَو صَغيرًا مِن مُلْكِهِ، فَسُرعانَ ما سَيَفقِدُ باقِيَ مُلكِهِ! لَسَوفَ أَخسَرُ مَـملَكَتي الَّتي وَرِثتُها عَن أَجْدادي**

وَجَدّي الكَبيرِ الـمَلِكِ "با- كارو"(1) بَعدَ أَن تُصبحَ مَطْمَعًا لِكُلِّ مَن شَرِبَ مِن مِياهِ البُحَيرَةِ، وَصاحَ بِصَوتٍ عالٍ: يَـجِبُ أَن أَجعَلَ مِن هذا الأوزيرِ عِبرَةً لِـمَن يَأتي مِن بَعدِهِ!".

بَدا مَلِكُ النُّسورِ كَمَن يَمتَلِكُ رَأسًا مِنَ الـحَجَرِ، وَلِذا تَرَكَتْهُ "ساشا"، وَذَهَبَتْ إلى سَيِّدِ التَّماسيحِ الَّذي أَظهَرَ قَدْرًا مِنَ الغَباءِ وَالبَلادَةِ، فاقَ بِهِ أَيًّا مِنَ الكائناتِ الـحَيَّةِ الَّتي عَرَفَتْها سَيِّدَةُ الإوَزِّ وَالطُّيورِ طَويلَةِ العُنُقِ، قالَتْ "ساشا":

"أَنتَ سَيِّدُ مِياهِ هذِهِ البُحَيرَةِ، تَسبَحُ فيها حَيثُ تَشاءُ، وَما مِن أَسَدٍ أَو نسرٍ، قَد يَمنَعُكَ... هَل سَمِعتَ بِأَسَدٍ نَزَلَ بُحيرةَ التَّماسيحِ، إلّا وَصارَ جُثَّةً هامِدَةً، تَعاقَبَتْ عَلَيها أَسنانُ بَني جِلدَتِكُم وَمَزَّقَتْها!... هَل رَأَيتَ النَّسرَ يَلتَقِطُ مِنَ السَّمَكِ إلّا ما تَطالُهُ مَـخالِبُهُ، دونَ أَن تَبتَلَّ في ذلِكَ أَجنِحَتُهُ بِمِياهِ البُحَيرَةِ؟! أَوَ لا تَرى أَنَّكَ سَيِّدٌ عَلى عالَـمِ الماءِ، عالَـمٍ لا يُشارِكُكَ فيهِ أَحَدٌ مِنَ الـمَخلوقاتِ!!".

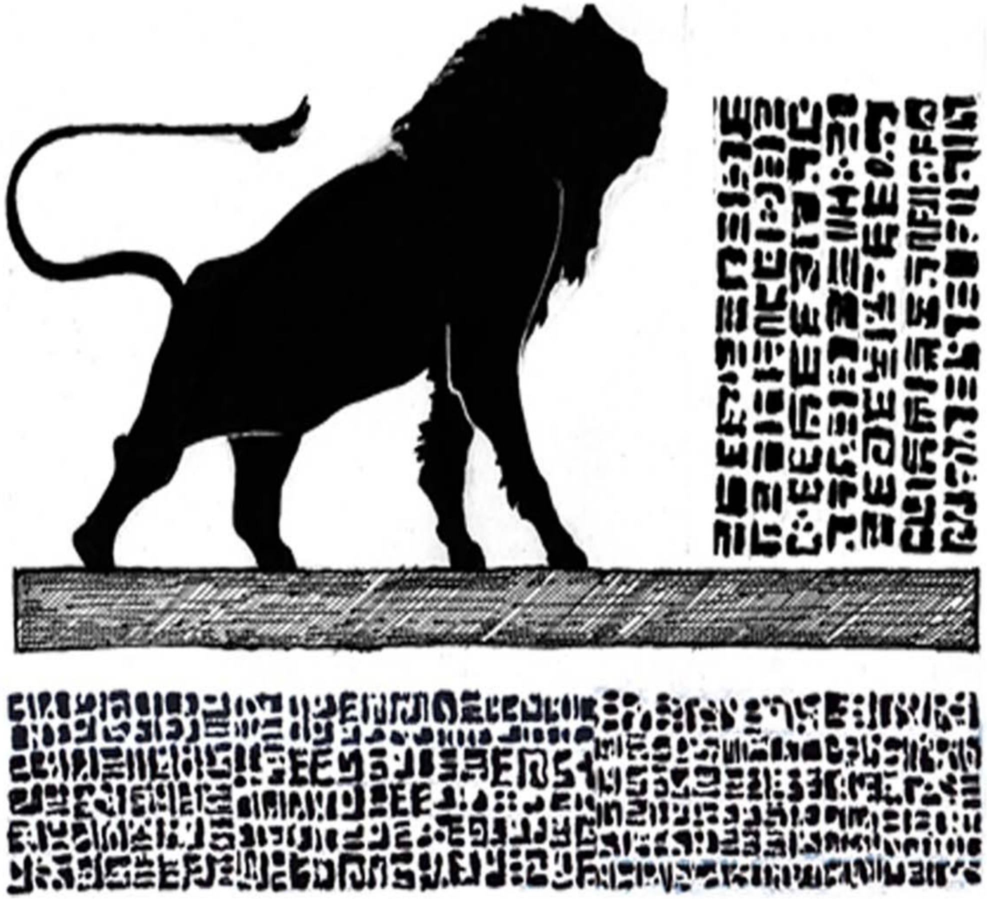
(1) المَلِكُ الكَبيرُ "با- كارو" هُوَ الجَدُّ الأَكبَرُ لِكُلِّ النُّسورِ المُلوكِ الَّذينَ حَكَموا شَجَرَةَ النُّسورِ، وَهُوَ نَسرٌ عَظيمٌ شُجاعٌ ضَخمٌ جاءَ مِنَ الشَّرقِ، وَأَقامَ عُشَّهُ فَوقَ شَجَرَةِ الموهِ الوَحيدَةِ الباقِيَةِ مِن بَعدِ الطّوفانِ العَظيمِ، ثُمَّ جاءَتْ مِن بَعدِهِ النُّسورُ، وَسَكَنَتْ هذِهِ الشَّجَرَةَ، وَأَطلَقوا عَلَيها اسمَ الجَبَلِ الأَخضَرِ؛ لِأَنَّ ارتِفاعَها كانَ شاهِقًا مِثلَ الجِبالِ. لِلمَزيدِ حَولَ قِصَّةِ المَلِكَ "با- كارو" وَمُغامَرَتِهِ، يُمكِنُ العَودَةُ دائِمًا لِلكِتابِ الثّاني مِن حِكاياتِ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ- مَملَكَةِ الجَبَلِ الأَخضَرِ، عَصرِ النّورِ.



التِّمساحُ "هاش": **"إِنَّني أُقَدِّرُ قُدومَكِ وَمَسْعاكِ لِإحلالِ السَّلامِ بَينَ الـحَيَواناتِ، وَلكِن لَـم يَعُدِ الأَمرُ بَينَ فَكَّيَّ، فَكُلُّ التَّماسيحِ أَقسَمَتْ عَلى أَنَّها لَن تَقبَلَ بي مَلِكًا، ما دامَ هذا الأَسَدُ لا يَزالُ يَزأَرُ، وَيَدَّعي الـمُلْكَ عِندَ شاطِئِ البُحَيرَةِ! أَنا لَـم أَذهَبْ إلى بَرِّيَّةِ "أوزيرَ" وَأَصِحْ، لِأَنتَزِعَ الـمُلكَ وَأَطلُبَ الـحَربَ! إِنَّني أُحارِبُ لِكَي أَبقى عَلى مُلْكي**

فَإنْ لَـم أُحارِبْ فَسَتُنْزِلُني التَّماسيحُ، وَلَرُبَّما تَفتِكُ بي.

إنَّكِ لا تُريدينَ لي مِثلَ هذا الـمَصيرِ!".



وَهكَذا لَـم يَتَبَقّ أَمامَ "ساشا" العَجوزِ سِوى أَن تَعرِفَ ما الَّذي يَسْعى لَهُ الـمَلِكُ الأَسَدُ "أوزيرُ"!

فَذَهَبَتْ إلى عَرينِهِ عِندَ تِلالِ "نارْتين" الصَّخريَّةِ، حَيثُ تُعَسكِرُ قُوّاتُهُ وَجُنودُهُ مِـمَّنْ جاؤوا

طامِعينَ وَخائِفينَ، يَنتَظِرونَ الـمَعرَكَةَ، ثُمَّ قالَتْ "ساشا" لَهُ:

"يا سَيِّدَ بَرِّيَّةِ "أوزيرَ" وَمَليكَها، يا مَن خَرَجَتْ كُلُّ الـحِكاياتِ وَالأَشعارِ تَـحمِلُ اسمَكَ مَلِكًا عَلى الـحَيَواناتِ... أَوَ لَيسَ الـمَلِكُ الصّالِحُ مَن يَـحفَظُ دِماءَ شَعبِهِ وَيَرعاهُم! انظُرْ لَـهُم... إنَّ الخَوفَ وَاليَأسَ يَتَساقَطُ مِن عُيونِهِم كَأَنَّهُم يُساقونَ إلى المَوتِ المَحتومِ.

اترُكِ النَّسرَ مَلِكًا عَلى السَّماءِ... اترُكِ البُحَيرَةَ لِلتَّماسيحِ، ثُمَّ إنَّ العالَـمَ كُلَّهُ بَينَ يَدَيكَ، تَفعَلُ بِهِ ما تُريدُ، ما الفائِدَةُ الَّتي قَد تُرْجى مِن مِثلِ هذِهِ الـحَربِ؟!... لا شَيءَ سِوى الدِّماءِ!".

وَهُنا أَجابَ "أوزيرُ": **"الأَدَبُ... هُوَ الفائِدَةُ الَّتي تُرْجى مِن مِثلِ هذِهِ الـحَربِ... يَـجِبُ أَن أُلَقِّنَ النَّسرَ دَرسًا لا يَنساهُ؛ لِيَعرِفَ مَن يَمتَلِكُ القُوَّةَ الـحَقيقيَّةَ! أَمّا ذلِكَ التِّمساحُ الـمُغَفَّلُ، فَهُوَ مَن أَقحَمَ نَفسَهُ في هذِهِ الـمَعرَكَةِ الَّتي هُوَ لَيسَ بِأَهلٍ لَـها؛ فَلا يَلومَنَّ إلّا نَفسَهُ!".**

"ساشا": **"يَبْدو أَنَّنا مُتَّفِقونَ في النِّهايَةِ، أَنتَ تُريدُ تَلقينَ النَّسرِ دَرسًا، وَبِالطَّبعِ لا توجَدُ خُصومَةٌ بَينَكَ وَبَينَ الإوَزِّ أَوِ العَصافيرِ!".**

"أوزيرُ": **"ما لي أَنا وَلِلعَصافيرِ؟".**

"ساشا": **"إنَّ "كا-رون" يَحشُدُ كُلَّ الطُّيورِ لِـمُقاتَلَتِكَ، بَعدَما حَشَدتَ أَنتَ كُلَّ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ لِـمُقاتَلَتِهِ، وَلَو أَردتَ الـحَقيقَةَ، فَهُناكَ شائِعَةٌ سَرَتْ بَينَ الـحَيَواناتِ، بِأَنَّ "أوزيرَ" يَـخافُ مُواجَهَةَ "كا-رون" بِمُفرَدِهِ؛ لِذا جَـمَعَ الضِّباعَ وَالوُحوشَ وَالبَهائِمَ؛ لِـمُلاقاةِ النَّسرِ".**

وَهُنا زَأَرَ الأَسَدُ، وَعَلا صِياحُهُ: **"هَل تَظُنّينَ أَيَّتُها العَجوزُ الـمُخَرِّفَةُ أَنَّ "أوزيرَ"**

الـمَلِكَ يَـخْشى مُواجَهَةَ نَسرٍ بِمُفرَدِهِ، وَلا عَشَرَةَ نُسورٍ حَتّى! إنَّ هؤلاءِ

يَأكُلونَ مِن فُتاتِ مَوائِدِ الأُسودِ".

"ساشا": **"حَسَنًا... يَبْدو أَنَّنا سَنَتَّفِقُ في النِّهايَةِ، لَو خَرَجَ لَكَ النَّسرُ بِمُفرَدِهِ**

وَلَيسَ مَعَهُ أَيُّ طائِرٍ أَو ذِئبٍ، هَل تَستَطيعُ أَن تُواجِهَهُ بِمُفرَدِكَ؟".

"بِالطَّبعِ، أَنا لا أَخافُ أَصحابَ الرّيشِ! حَدِّدي الـمَكانَ وَالزَّمانَ

وَلْنَضَعْ نِهايَةً لِـهذا الأَمرِ!".

"ساشا": **"وَقتُ غُروبِ الشَّمسِ، عِندَ شاطِئِ التَّماسيحِ الرَّملـيِّ، وَرُبَّما يَكونُ هُناكَ**

تِـمساحٌ أَقحَمَ نَفسَهُ في هذِهِ الـمَسأَلَةِ، لِيَدورَ القِتالُ بَينَ ثَلاثَتِكُم،

حَتّى الـمَوتِ، وَمَن يَنتَصِرُ هُوَ الأَجدَرُ بَينَكُم بِلَقَبِ مَلِكِ الـحَيَواناتِ".

وافَقَ الأَسَدُ، فَاعتَرَضَتِ الضِّباعُ وَتَصايَـحَتْ، وَلكِنَّ صَيحَةَ الأَسَدِ فيها أَلـجَمَتْها الصَّمتَ وَالـخُنوعَ لَهُ، وَلَـمّا عادَ الثَّعلَبُ وَعَرَفَ بِاتِّفاقِ "ساشا" مَعَ الأَسَدِ، تَـمَلَّكَهُ الغَيظُ وَالغَضَبُ، وَأَسرَعَ يُـحاوِلُ إِثْناءَ الأَسَدِ عَن اتِّفاقِهِ مَعَ العَجوزِ الشَّمْطاءِ "ساشا"، وَلكِنَّ الأَسَدَ زَجَرَهُ هُوَ الآخَرُ، قائِلًا:

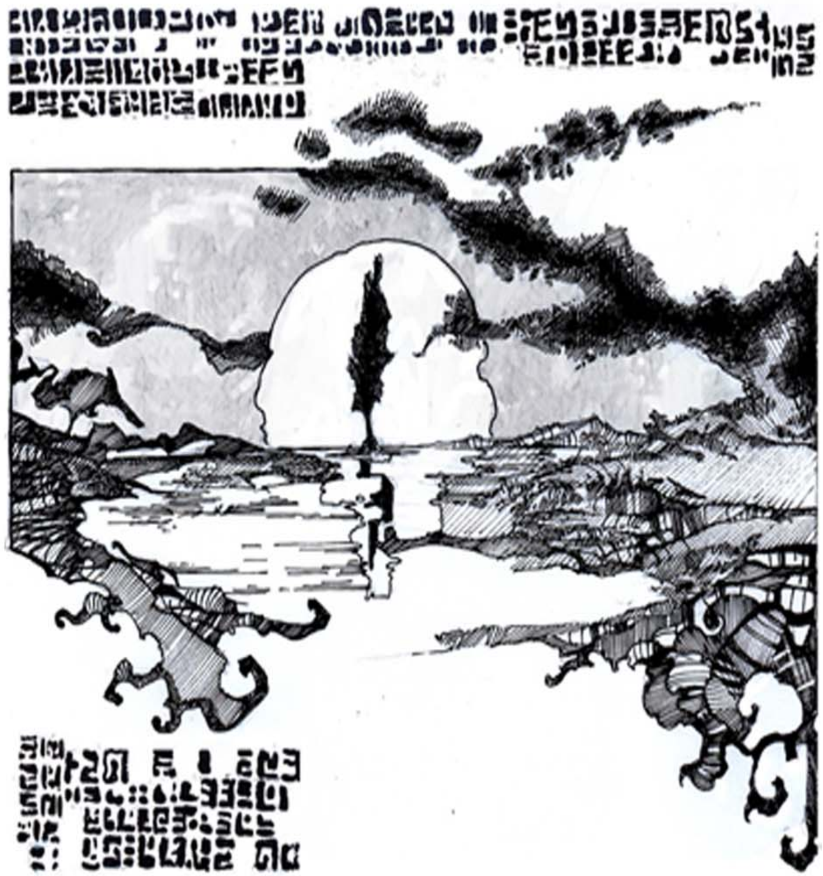
"الـمُلوكُ لا يَعودونَ في وُعودِهِم... كَيفَ أَستَحِقُّ لَقَبَ مَلِكِ الـحَيَواناتِ وَقَد

رَأَوْني أَحنَثُ بِعَهْدي، فَهَل يَعهَدونَ لِذلِكَ الـمَلِكِ، وَهُوَ كاذِبٌ خائِنٌ؟!...

اذهَبْ مِن هُنا، فَلا حاجَةَ لَكَ في حَربٍ يَـخوضُها الشُّجْعانُ!".

في تِلكَ اللَّحظَةِ، هَرَعَ الثَّعلَبُ نَحوَ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ، يُـحاوِلُ أَن يَصِلَ إِلى الـمَلِكِ "هاش" قَبلَ أَن تَصِلَ "ساشا" إِلَيهِ، وَلكِن لِلأَسَفِ عَلِمَ بِأَنَّهُ وافَقَ هُوَ الآخَرُ عَلى طَلَبِ سَيِّدَةِ الطُّيورِ الطَّويلَةِ العُنُقِ، وَقَبِلَ بِالـمُبارَزَةِ الثُّلاثيَّةِ مَعَ النَّسرِ وَالأَسَدِ. وَبِالطَّبعِ لَـم يَستَطِعْ أَن يُثنِيَهُ عَنِ الأَمرِ تَـمامًا كَما حَدَثَ مَعَ الأَسَدِ. مِن هذا الشّاطِئِ، راقَبَ الثَّعلَبُ الخاسِرُ ذلِكَ الطّائِرَ الأَبيَضَ الكَبيرَ وَهُوَ يُـحَلِّقُ في السَّماءِ، مُتَّجِهًا إِلى شَجَرَةِ النُّسورِ، وَهُوَ يَأمُلُ أَن يَرفُضَ الـمَلِكُ "كا-رون" عَرْضَ "ساشا"، وَلكِن في الـحَقيقَةِ، لَـم يَكُنْ سَيِّدُ نُسورِ الشَّجَرَةِ بِأَقَلَّ اعتِزازًا بِنَفسِهِ وَلا شَجاعَةً مِنَ الأَسَدِ أَوِ التِّمساحِ، وَوافَقَ عَلى عَرضِ "ساشا"؛ حِفظًا لِدِماءِ شَعبِهِ وَباقي شُعوبِ الـحَيَواناتِ الـمُجَنَّحَةِ.

غُروبُ الشَّمسِ



حاوَلَ الثَّعلَبُ أَن يَبعَثَ بِرَسائِلِهِ، يُحَذِّرُ فيها الـمَلِكَ "كا-رون" مِن أَنَّ "ساشا" قَد تَعمَلُ عَلى خِداعِهِ؛ لِأَنَّ "ساشا" هِيَ مَن اختارَتْ مَوعِدَ الغُروبِ، وَهِيَ تَعلَمُ يَقينًا أَنَّ النُّسورَ تَعجَزُ عَنِ الرُّؤيَةِ في الظَّلامِ، وَهكَذا لَن يَكونَ أَمامَ الـمَلِكِ النَّسرِ أَيُّ فُرصَةٍ، بِعَكسِ الأَسَدِ الَّذي اعتادَ الصَّيدَ في الظَّلامِ، أَوِ التِّمساحِ الَّذي دائِمًـا يَرى

في ظُلُماتِ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ، وَلكِنَّ الـمَلِكَ "كا-رون" لَـم يُعِرْهُ انتِباهًا، وَالْتَزَمَ بِكَلِمَتِهِ الَّتي قَطَعَها عَلى نَفسِهِ. كانَ "كا-رون" يَرى أَنَّ بَينَ غُروبِ الشَّمسِ وَإِعْتامِ اللَّيلِ ما يَكْفي مِنَ الوَقتِ، لِكَي يُـحرِزَ النَّصرَ عَلى غَريمَيْهِ، فَهَل كانَ مُـحِقًّا؟

قُبَيلَ غُروبِ الشَّمسِ، كانَ الـمَلِكُ "كا-رون" يَقِفُ أَعلى قِمَّةِ شَجَرَةِ الـجَوْزاءِ، يَتَدارَسُ أَرضَ الـمَعرَكَةِ، وَيُراقِبُ خَصمَهُ التِّمساحَ، الَّذي أَطَلَّ بِرَأسِهِ مِنَ البُحَيرَةِ، بَينَما لَـم يَكُنْ هُناكَ أَيُّ أَثَرٍ لـِ "أوزيرَ"، الَّذي جَلَبَ كُلَّ هذِهِ الـمَتاعِبِ عَلى ثَلاثَتِهِم!

وَمَعَ ظُهورِ شُعاعِ الضَّوءِ القِرمِزيِّ لِشَمسِ الـمَغيبِ، سُمِعَتْ رَجفَةٌ عَظيمَةٌ في أَرضِ البُحَيرَةِ، تَطايَرَتْ عَلى أَثَرِها كُلُّ الطُّيورِ في فَزَعٍ! كانَ "أوزيرُ" يَزأَرُ وَهُوَ يَتَقافَزُ عَبرَ الصُّخورِ الرَّماديَّةِ لِتِلالِ "نارْتين"، بَينَما بَصَرُهُ قَد تَعَلَّقَ بِشاطِئِ التَّماسيحِ، وَعَينُهُ الثّاقِبَةُ تَتَطَلَّعُ نَحوَ غَريمِهِ التِّمساحِ "هاش"! وَهكَذا مِن دونِ أَيِّ تَرَوٍّ أَو مُراقَبَةٍ كَما فَعَلَ النَّسرُ، اندَفَعَ الأَسَدُ يَعْدو فَوقَ الرِّمالِ الذَّهَبيَّةِ لِلشّاطِئِ، حَتّى بَلَغَ مَوضِعَ التِّمساحِ "هاش"، الكَثيرُ مِنَ الـحَيَواناتِ الَّتي كانَتْ مِن قَبلُ مَدعُوَّةً لِكَي تُشارِكَ في هذِهِ الـحَربِ، قَد تَسَلَّقَتِ الأَشجارَ لِتُراقِبَ مَشهَدَ قِتالِ الـمُلوكِ، وَبَعضُها قَد صَعِدَ التِّلالَ وَالـجِبالَ الـمُحيطَةَ بِالبُحَيرَةِ، مُعتَمِدَةً عَلى أَبصارِها الحادَّةِ لِتَرى وَقائِعَ الـمَعرَكَةِ مِن دونِ أَن يُصيبَها شَيءٌ مِن أَذاها!

في ساعَةِ الغُروبِ تِلكَ، شوهِدَتِ الذِّئابُ وَهِيَ تَصطَفُّ بِجانِبِ الجاموسِ وَالنَّعامِ وَالأَرانِبِ وَالقَنافِذِ، وَمِن كُلِّ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ مُـختَلِفَةِ الشَّكلِ وَالأَلوانِ، جاءَتْ جَـميعُها لِتَعلَمَ مَن هُوَ الـمَلِكُ الَّذي سَيَنتَصِرُ على الآخَرينَ!





مِنَ الواضِحِ أَنَّ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ قَد تَـجاوَزَتْ صِراعاتِها القَديمَةَ وَكُلَّ مَـخاوِفِها مِن بَعضِها بَعضًا، حَتّى إنَّ الصَّيّادَ صارَ يَقِفُ بِجانِبِ طَريدَتِهِ، فَقَط لِيُراقِبَ وَيَعرِفَ ما سَـتَنتَهي إلَيهِ الأُمورُ... إنَّهُ الفُضولُ الَّذى لا يَستَطيعُ حَيَوانٌ أَن يُقاوِمَهُ وَيَعودَ لِـجُحرِهِ، دونَ أَن يَعرِفَ إجابَةَ التَّساؤلِ... مَن سَيَنتَصِرُ عِندَما تَقَعُ الـحَربُ بَينَ مَـملَكَةِ الأَرضِ وَالسَّماءِ وَالماءِ؟ مِثلُ هذِهِ الـمَعارِكِ لا تَـحدُثُ كُلَّ يَومٍ في عالَـمِهِم.

إنَّها بِمَثابَةِ نِهايَةٍ لِتاريخٍ قَديمٍ وَبِدايَةٍ لِتاريخٍ جَديدٍ، فَلَو سَقَطَ الـمَلِكُ "كا-رون"، فَإنَّ كُلَّ القَوانينِ الَّتي صَنَعَها أَجدادُهُ لِتَحكُمَ عالَـمَ البُحَيرَةِ سَتَسقُطُ مَعَهُ، كَما أَنَّ "أوزيرَ" لَو نَجَحَ، فَإنَّهُ سَيَجلُبُ مَعَهُ شَريعَةَ الغابِ والأراضي البَرِّيَّةِ البَعيدَةِ، لِتُصبِحَ هِيَ ميثاقَ البُحَيرَةِ الجَديدَ، أَمّا لَو انتَصَرَ "هاش" الـمَجنونُ، فَلا أَحَدَ قَد يَعلَمُ عَلى وَجهِ التَّحديدِ أَيَّ عالَـمٍ مِنَ الـجُنونِ سَتُجبَرُ الـحَيَواناتُ عَلى أَن تَعيشَ فيهِ؟

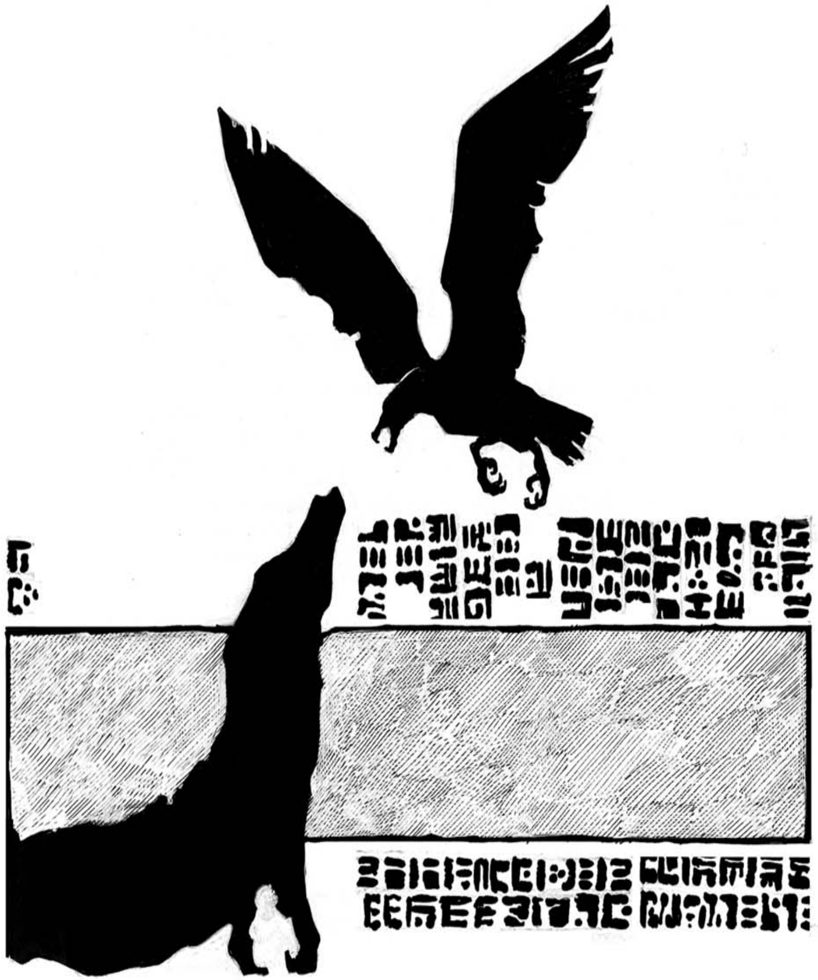
لِنَترُكِ الـحَيَواناتِ الَّتي صَنَعَتْ جُـمهورَ الـمُشاهِدينَ فَوقَ تِلالِ البُحَيرَةِ؛ وَنَعُدْ لِنُهَروِلَ فَوقَ الرِّمالِ الأُرجُوانيَّةِ لِلبُحَيرَةِ، لِنَرى وَنَعرِفَ ماذا حَدَثَ بَينَ "هاش" وَ"أوزيرَ"!

في الـحَقيقَةِ وَهُوَ أَمرٌ قَد يُـخَيِّبُ آمالَ البَعضِ، إذْ لا يَبْدو أَنَّنا قَد أَضَعْنا أَيَّ وَقتٍ كانَ يَـحسُنُ بِنا استِخدامُهُ لِوَصفِ الـمَعرَكَةِ! فَلَقَد كانَ مَشهَدُ اقتِتالِ الأَسَدِ وَالتِّمساحِ، لَو أُجيزَ لَنا أَن نَصِفَهُ اقتِتالًا... تَـمامًا كَما تَرَكناهُ! إذْ إنَّ كِلَيهِما كانَ يُصِرُّ عَلى القِتالِ في أَرضِهِ! فَالتِّمساحُ رَفَضَ مُغادَرَةَ مِياهِ البُحَيرَةِ وَالَّتي هِيَ مَعقِلُهُ الـحَصينُ، وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ خُطَّتَهُ كانَتْ تَقومُ عَلى استِدراجِ الأَسَدِ نَحوَها، وَهِيَ الـخُطَّةُ الَّتي بَدَتْ شَديدَةَ الوُضوحِ لِلمَلِكِ "أوزيرَ" الَّذي بِدَورِهِ أَصَرَّ عَلى إغاظَةِ التِّمساحِ لِدَفعِهِ نَحوَ شاطِئِ التَّماسيحِ؛ لِيُقاتِلَهُ هُناكَ بَينَ ضَرَباتِ الرَّأسِ وَالذَّيلِ، فَالـجَميعُ يَعلَمُ أَنَّ قَبضَةَ فَكِّ التِّمساحِ إذا أُغلِقَتْ، فَما مِن أَحَدٍ يَستَطيعُ إعادَةَ فَتحِها أَوِ النَّجاةَ مِنها!

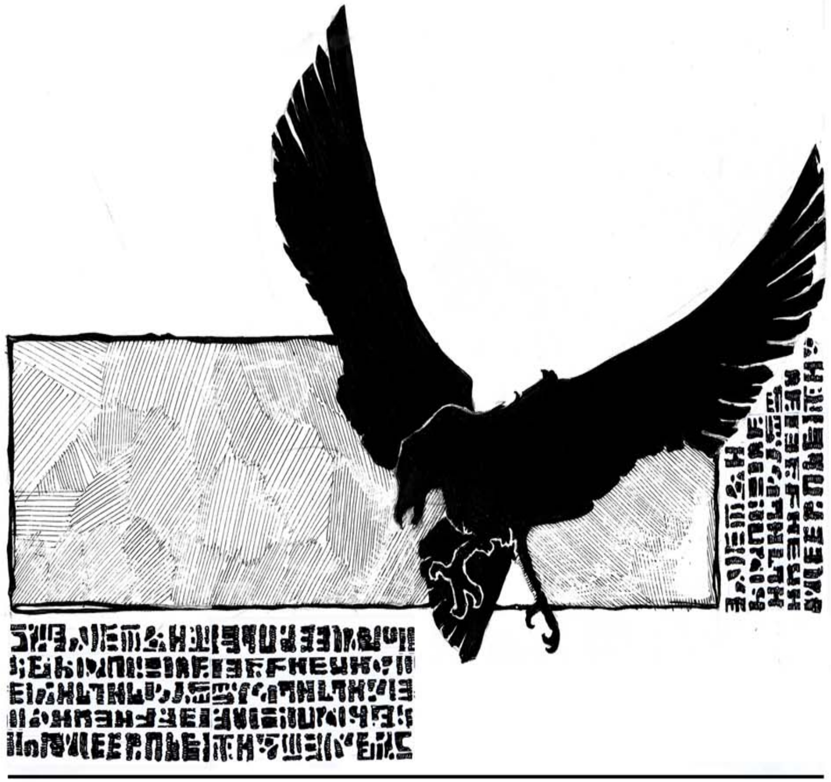
لِذا يُمكِنُ أَن نُسَمِّيَهُ... "قِتالٌ بِدونِ أَيِّ تَلامُسٍ"! مُـجَرَّدُ تَصايُحٍ وَزَئيرٍ وَخُوارٍ هُنا وَهُناكَ، مَعَ الكَثيرِ مِنَ العَبَثِ بِالماءِ وَتَقاذُفِهِ تَـمامًا كَما يَفعَلُ أَيٌّ مِنَ الـجُبَناءِ، وَبَدَأَ الـمَلَلُ يَتَسَرَّبُ إلى الـجُمهورِ، وَكانَ أَوَّلُ مَن أَعلَنَ عَن إحباطِهِ هُوَ الـمَلِكَ "كا-رون" نَفسَهُ! الَّذي شوهِدَ وَهُوَ يُقلِعُ مِن فَوقِ شَجَرَةِ الـجَوزاءِ، وَيُـحَلِّقُ مُبتَعِدًا نَحوَ الشَّرقِ! هكَذا راقَبَهُ الأَسَدُ وَالتِّمساحُ، وَهُوَ يُغادِرُ أَرضَ المَعرَكَةِ، مُبتَهِجَينِ بِأَنَّ صِراعَهُم قَد نَقَصَ أَحَدَ ثَلاثَةٍ، وَتَبَقّى الخَصمُ الماثِلُ أَمامَ كُلٍّ مِنهُما!

هكَذا عادَ الاثنانِ لِلصِّياحِ وَتَقاذُفِ الـمِياهِ دونَ أَيِّ فائِدَةٍ تُرْجى، وَسَطَ سَحابَةٍ مِن خَيبَةِ الأَمَلِ ظَلَّلَتْ جَـميعَ الـحُضورِ، وَلكِنَّ هذِهِ الغَيْمَةَ سُرعانَ ما تَـمَزَّقَتْ عَلى نَحوٍ خاطِفٍ، لَـم يَكَدْ أَيٌّ مِنَ الحاضِرينَ أَن يَنتَبِهَ لَهُ، حَيثُ عَلَتِ الدَّهشَةُ وُجوهَ الـجَميعِ، وَهُم يُشاهِدونَ ذلِكَ النَّسرَ الغَريبَ القادِمَ مِنَ الغَربِ، كَما لَو أَنَّهُ قِطعَةُ حَجَرٍ أَسقَطَتْها السَّماءُ، وَهُوَ يَهْوي نَحوَ البُحَيرَةِ...
وَفي لَـحظَةٍ كانَ الـمَلِكُ "كا-رون" قَد أَنشَبَ مِـخلَبَيهِ في مُقلَتَيْ عَينِ التِّمساحِ "هاش"... كانَتْ ضَربَةً قَوِيَّةً وَخاطِفَةً لَـم يَتَوَقَّعْها أَيُّ أَحَدٍ بَعدَ أَن شاهَدَ الـجَميعُ النَّسرَ وَهُوَ يَنسَحِبُ مِن مَيدانِ الـمَعرَكَةِ، وَيَتَّجِهُ إلى الـمَشرِقِ، وَلكِن في تِلكَ السّاعَةِ، عَرَفَ الـجَميعُ أَنَّ "كا-رون" لَـم يَرحَلْ مُنسَحِبًا إلى الشَّرقِ، وَلكِنَّهُ خادَعَ الحاضِرينَ، وَتَرَكَهُم لِلخَيالِ الـمُضَلِّلِ، بَينَما انطَلَقَ في رِحلَةٍ طَويلَةٍ، دارَ فيها عَبرَ البُحَيرَةِ مِنَ الـجَنوبِ، مِن خَلفِ ظُهورِ كُلِّ مُراقِبي الـمَعرَكَةِ؛ لِيُفاجِئَ خَصْمَهُ بِضَربَةٍ خاطِفَةٍ وَقاصِمَةٍ مِن جِهَةِ الـمَغرِبِ، حَيثُ لَـم يَتَوَقَّعِ التِّمساحُ "هاش".

غَرَسَ الـمَلِكُ "كا-رونُ" مَـخالِبَهُ الحادَّةَ في عَينَيْ تِـمساحِ البُحَيرَةِ؛ لِيُفقِدَهُ بَصَرَهُ. حاوَلَ التِّمساحُ هَزَّ رَأسِهِ يَميناً وَيَساراً، لِكَي يَنتَزِعَ بَراثِنَ النَّسرِ عَنهُ، وَلَـم يُطلِقِ النَّسرُ سَراحَهُ إلّا بَعدَ أَن صارَتِ الدِّماءُ تَتَدَفَّقُ مِن عَينَيهِ، وَسَطَ دَهشَةِ الأَسَدِ "أوزيرَ" الَّذي أَجفَلَهُ الـهُجومُ الخاطِفُ لِلنَّسرِ، فَتَراجَعَ لِلوَراءِ!







عِندَها الْتَفَتَ "النَّسرُ كا-رون" نَحوَ الأَسَدِ؛ لِأَنَّهُ يَعرِفُ أَنَّ الأُسودَ وَالقِطَطَ البَرِّيَّةَ لا تَتَراجَعُ نَحوَ الـخَلفِ إِلّا لِتَقفِزَ عالِيًا نَحوَ الأَمامِ، وَفي اللَّحظَةِ الَّتي كانَتْ عَينُ النَّسرِ قَد تَعَلَّقَتْ بِالأَسَدِ الـمَذعورِ وَالَّذي أَخطَأَهُ النَّسرُ فَظَنَّهُ يَتَأَهَّبُ لِلهُجومِ، إِذْ بِالتِّمساحِ الـمُضَرَّجِ بِدِمائِهِ، يَندَفِعُ بِرَأسِهِ عالِيًا لِأَعلى مِن وَسَطِ الوَحْلِ وَالدِّماءِ، نَحوَ النَّسرِ "كا-رون"، فَيُطبِقُ فَكَّيهِ عَلى قَدَمَي الـمَلِكِ، اللَّتَينِ لِلتَّوِّ كانَتا السَّبَبَ في ذَهابِ نورِ عَينَيهِ! بِالطَّبعِ مَهما بَلَغَتْ قُوَّةُ مَخالِبِ النَّسرِ وَضَرْبَتِهِ الـمُميتَةِ، فَإِنَّهُ لا توجَدُ في البَرِّيَّةِ عَظْمَةٌ لا يَستَطيعُ فَكُّ التِّمساحِ أَن يَكسِرَها وَيَطحَنَها!

حاوَلَ النَّسرُ الفِكاكَ وَلكِن دونَ جَدْوى، فَالتِّمساحُ الأَعْمى يَظَلُّ خَطِرًا تَـمامًا، مِثلَ تِـمساحٍ مُبصِرٍ، ما دامَ لَدَيهِ ذلِكَ الفَكُّ الـمُميتُ! وَهكَذا استَطاعَ "هاش" انتِزاعَ أَقْدامِ الـمَلِكِ؛ لِيَسقُطَ بَعدَها النَّسرُ الَّذي حاوَلَ الطَّيَرانَ مُبتَعِدًا عَن خَصمِهِ، وَلكِنَّ نَزيفَ الدِّماءِ، وَالأَلَـمَ الَّذي يَعتَصِرُهُ، أَفقَداهُ تِلكَ القُوَّةَ الَّتي كانَتْ لِأَجنِحَتِهِ طَوالَ عُمرِهِ.
نَظَرَ الأَسَدُ "أوزيرُ" لِلنَّسرِ الـمُضَرَّجِ بِدِمائِهِ، وَهُوَ يَتَهاوى نَحوَ رِمالِ الشّاطِئِ الرَّمليِّ لِبُحَيرَةِ التَّماسيحِ، بَينَما هُوَ يُنازِعُ سَكَراتِ الـمَوتِ، ثُمَّ أَشاحَ بِبَصَرِهِ عَنهُ غَيرَ عابِئٍ بِهِ أَو مُهتَمٍّ، إِذْ كانَتْ عَينُ الأَسَدِ تَرتَكِزُ عَلى ذلِكَ التِّمساحِ الأَعْمى وَسَطَ الـمِياهِ الضَّحْلَةِ. هُنا يَكمُنُ الـخَطَرُ الـحَقيقيُّ! هُنا تَكونُ الـمَعرَكَةُ الأَخيرَةُ؛ لِأَنَّ "كا-رونَ" قَدِ انتَهى بِلا رَجعَةٍ!



حاوَلَ الأَسَدُ أَن يَستَغِلَّ كُلَّ لَـحظَةِ ضَعفٍ في خَصمِهِ التَّعِسِ، وَالَّذي صارَ يَنتَحِبُ عَلى ضَياعِ بَصَرِهِ! وَأَخَذَ يَزأَرُ بِصَيحاتٍ مِلؤُها الفَرَحُ وَالشَّماتَةُ، وَسُرعانَ ما استَطاعَ "هاش" تَـمييزَ صَوتِ زَئيرِ غَريمِهِ بَينَ جَنَباتِ عالَـمِهِ الـمُظلِمِ الـجَديدِ!
لَم يَكُنْ "هاش" يَعلَمُ بِهَلاكِ المَلِكِ "كارون" وَلا رَآهُ، وَهُوَ يَسقُطُ مِن عَلْيائِهِ وَكِبرِيائِهِ؛ لِذا لَم تَكُنْ نارُ الانتِقامِ الموقَدَةُ في قَلبِهِ قَد وَجَدَتْ ما يُطفِئُ لَـهيبَها، وَلَم تَكُنْ صَيحاتُ الأَسَدِ الشامِتَةُ

إلّا سَبَبًا في إذْكائِها، وَهكَذا قَرَّرَ "هاش" أن يَتَتَبَّعَ مَصدَرَ الصَّوتِ الوَحيدِ الَّذي يُدرِكُ كُنْهَ صاحِبِه... إنَّهُ عَدُوُّهُ الأَسَدُ الـخَبيثُ "أوزيرُ".

عِندَما تَبَيَّنَ الأَسَدُ أَنَّ التِّمساحَ صارَ مُنتَبِهًا لِزَئيرِه، تَراجَعَ الأَسَدُ لِلخَلفِ، فَتَقَدَّمَ التِّمساحُ خُطوَةً لِلأَمامِ، وَتَكَرَّرَ الأَمرُ عِدَّةَ مَرّاتٍ، وَفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ التِّمساحُ يَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيرِ، عِندَها كانَ الأَسَدُ يَقتَرِبُ مِنهُ لِيَمنَحَهُ تِلكَ الصَّيحَةَ الَّتي سُرعانَ ما يَهُبُّ التِّمساحُ الأَعمى في أَثَرِها، مُـحاوِلًا مُطارَدَةَ مَصدَرِ الصَّوتِ. وَهكَذا اقتادَ الأَسَدُ "أوزيرُ" خَصمَهُ التِّمساحَ نَحوَ الطَّريقِ الـمَفتوحِ بِالـجِهَةِ الـجَنوبيَّةِ الشَّرقيَّةِ مِن شاطِئِ بُحَيرَةِ التَّماسيحِ، ذلِكَ الأُخدودُ العَميقُ نَوعًا ما وَالضَّيِّقُ أَيضًا، وَالواقِعُ بَينَ مَدينَةِ الشُّقوقِ وَمَدينَةِ الـجُحورِ(1)، كانَتْ تِلكَ هِيَ الـخُطَّةَ الَّتي أَعَدَّها الأَسَدُ لاستِدراجِ التِّمساحِ "هاش" وَمُـحاصَرَتِهِ في ذلِكَ الأُخدودِ، حَيثُ يُصبِحُ التِّمساحُ بِلا حَولٍ وَلا قُوَّةٍ، فَيَستَطيعُ الأَسَدُ أَن يَفتِكَ بِهِ وَيُـجهِزَ عَلَيه.

مَعَ كُلِّ صَيحَةٍ جَديدَةٍ، كانَ التِّمساحُ يَتَّبِعُ خُطواتِ الأَسَدِ نَحوَ الفَخِّ الَّذي خَطَّطَ لَهُ، حَتّى وَجَدَ التِّمساحُ أَنَّهُ يَزُجُّ نَفسَهُ في الأُخدودِ الضَّيِّقِ لِلطَّريقِ الـمَفتوحِ، فَقَط لِيَستَمِرَّ في مُتابَعَةِ صَوتِ الأَسَدِ، وَبَعدَ أَن صارَ جَسَدُ التِّمساحِ مُـحاصَرًا في ذلِكَ الأُخدودِ، صَعِدَ الأَسَدُ فَوقَ أَسطُحِ مَدينَةِ الشُّقوقِ، وَحاوَلَ مُهاجَـمَةَ التِّمساحِ الَّذي

(1) لِلمَزيدِ حَولَ الطَّريقِ المَفتوحِ وَسيرَةِ مَدينَةِ الجُحورِ وَمَدينَةِ الشُّقوقِ، يُمكِنُ مُراجَعَةُ حِكايَةِ الغيلانِ الثَّلاثَةِ، وَما جَرى بَينَها وَبَينَ السَّيِّدِ "بي-نون".

كانَ أَقرَبَ لِفَراشَةٍ أَحاطَتْ بِها شِباكُ العَنكَبوتِ، فَمَنَعَتْها الـحَرَكَةَ! ضَرَبَ الأَسَدُ ظَهرَ غَريمِهِ بِعِدَّةِ ضَرَباتٍ بِمَخالِبِهِ الحادَّةِ، وَلكِنَّ دُروعَ ظَهرِ التِّمساحِ حالَتْ بَينَهُ وَبَينَ خَناجِرِ الأَسَدِ، فَلَم يُصِبْهُ شَيءٌ مِن ضَرَرٍ. حاوَلَ الأَسَدُ أَن يَهبِطَ لَهُ لِيُنشِبَ فَكَّيهِ في التِّمساحِ، فَوَجَدَ أَنَّ التِّمساحَ لا يَزالُ قادِرًا عَلى استِخدامِ فَكِّهِ الـمُميتِ، وَالدِّفاعِ عَن نَفسِهِ ضِدَّ هَجمَةٍ مُـماثِلَةٍ.

وَهكَذا أَدرَكَ الأَسَدُ أَنَّ نَصرَهُ سَيَظَلُّ مَنقوصًا ما دامَ هذا التِّمساحُ لا يَزالُ عَلى قَيدِ الـحَياةِ، وَحَيثُ إِنَّهُ لا يَستَطيعُ مُواجَهَتَهُ حَتّى وَهُوَ في هذا الوَضعِ الضَّعيفِ وَالـمُزْري، قَرَّرَ الأَسَدُ أَن يَتَخَلَّصَ مِن "هاش" بِأَن يَدفِنَهُ حَيًّا في قاعِ أُخدودِ الطَّريقِ الـمَكشوفِ! بَدَتِ الفِكرَةُ أَكثَرَ مِن صائِبَةٍ، وَتُزيحُ عَن كاهِلِهِ كُلَّ مُشكِلاتِهِ.

اعْتَلى الأَسَدُ أَحَدَ الكُثْبانِ الَّتي صَنَعَتْها مَدينَةُ الـجُحورِ، وَصارَ يَنتَزِعُ التُّرابَ عَنها وَيَدفَعُهُ بِيَدَيهِ وَأَقدامِهِ الحافِرَةِ، فَيُهيلُهُ فَوقَ جَسَدِ التِّمساحِ وَهُوَ يَمنَحُ التِّمساحَ ظَهرَهُ؛ لِذلِكَ لَـم يُدرِكِ الأَسَدُ أَنَّ كُلَّ دُفعَةِ تُرابٍ كانَ يُلقي بِها عَلى التِّمساحِ الأَعمى، كانَ التِّمساحُ يَهُزُّ ظَهرَهُ وَيُسقِطُها عَنهُ نَحوَ أَرضيَّةِ الأُخدودِ لِتَعلُوَ الأَرضُ أَسفَلَ مِنهُ، وَيَعلُوَ مَعَها جَسَدُ التِّمساحِ... واستَمَرَّ عَمَلُ الأَسَدِ الدَّؤوبِ في دَفنِ غَريمِهِ، وَكُلَّما دَفَعَ الأَسَدُ الـمَزيدَ مِنَ التُّرابِ، وَجَدَهُ غَيرَ كافٍ لِدَفنِ التِّمساحِ! وَدونَ أَن يَنتَبِهَ الأَسَدُ الـمُجِدُّ في عَمَلِهِ، انقَضَّ التِّمساحُ عَلَيهِ مِنَ الـخَلفِ بَعدَ أَنِ استَطاعَ الظُّهورَ عَلى جِدارِ الأُخدودِ بِفَضلِ ما أَهالَهُ الأَسَدُ فَوقَهُ مِن أَتربَةٍ وَرِمالٍ!

وَهكَذا وَبِرَغمِ فُقدانِهِ بَصَرَهُ إِلّا أَنَّهُ كانَ قادِرًا عَلى تَـمييزِ خَصْمِهِ

وَمُصِرًّا عَلى تَتَبُّعِ كُلِّ سَبيلٍ قَد يَمنَحُهُ فُرصَةً لِلخُروجِ مِن مَأزِقِهِ! وَلا داعِيَ لِأَن نُذَكِّرَ القارِئَ بِأَنَّهُ لا يوجَدُ مِن حَيَواناتِ البُحَيرَةِ مَن يَنجو مِن عَضَّةِ فَكِّ التِّمساحِ، إذا ما أَطْبَقَ التِّمساحُ فَكَّهُ جَيِّدًا، فَإِنَّ فُرصَةَ النَّجاةِ مِن هذا الـهُجومِ الخاطِفِ وَالـمُباغِتِ... مَعدومَةٌ!

هكَذا رَحَلَ الأَسَدُ "أوزيرُ" وَبَقِيَ التِّمساحُ الأَعْمى "هاش" آخِرُ مَن تَوَقَّعَ الـجَميعُ أَنْ يَنجُوَ في هذِهِ الـمَعرَكَةِ الصّاخِبَةِ، فَهَل نَجا؟

في الـحَقيقَةِ، لَـم يَكُنْ "هاش" سَعيدًا وَلَـم يَكُنْ مَسرورًا بِلَقَبِ مَلِكِ الأَرضِ وَالسَّماءِ وَالماءِ؛ إذْ لَـم يَعُدْ بِوُسعِهِ سِوى التَّخَلّي عَن كُلِّ تِلكَ الـمَمالِكِ الَّتي حُرِمَ مِنَ النَّظَرِ إلَيها وَالتَّمَتُّعِ بِجَمالِـها إلى الأَبَدِ! لَقَد فَقَدَ كُلَّ شَيءٍ، وَانْزَوى عِندَ شاطِئِ البُحَيرَةِ لِعِدَّةِ أَيّامٍ، لا يَأكُلُ وَلا يَشرَبُ، حَتّى لَفَظَ أَنفاسَهُ الأَخيرَةَ، حَزينًا عَلى حالِهِ. أَمّا الأَسَدُ "أوزيرُ" فَقَدِ اجتَمَعَتِ الضِّباعُ عَلى الْتِهامِ ما بَقِيَ مِنهُ، وَتَقاسَمَتْهُ الذِّئابُ وَالكِلابُ البَرِّيَّةُ، وَحَدَثَ في تِلكَ اللَّيلَةِ عِراكٌ كَبيرٌ بَينَ تِلكَ الـحَيَواناتِ عَلى تَقاسُمِ لَـحمِهِ وَعِظامِهِ، "أَيُّ ميتَةٍ كَريهَةٍ اختارَها ذلِكَ الأَسَدُ لِنَفسِهِ!" هكَذا قالَتْ "ساشا"، ثُمَّ أَكمَلَتْ:

"لَقَد كانَ كُلٌّ مِنهُم سَيِّدًا عَظيمًا فَوقَ مَـملَكَتِهِ الَّتي لا يُنافِسُهُ فيها أَحَدٌ، فَالنَّسرُ يَـحكُمُ عالَـمَ السَّماءِ، فَلا تُزاحِـمُهُ إلّا أَنظارُ الـحَيَواناتِ، تَتَطَلَّعُ نَحوَهُ وَتَغْبِطُهُ وَلا يَصِلُ أَيٌّ مِنها إلَيهِ، فَلَم يَقبَلْ بِكُلِّ هذا، وَتَطَلَّعَ لِـما في يَدِ غَيرِهِ، فَأَينَ وَصَلَ بِهِ الحالُ؟!... مِسكينٌ "كا-رون" العَظيمُ، هُوَ مَن جَلَبَ عَلى نَفسِهِ الدَّمارَ وَالـخَرابَ!".

أَمّا "هاش" الـمَجنونُ، فَقَد قالَتْ "ساشا" عَنهُ:

"مِسكينٌ ذلِكَ التِّمساحُ، الَّذي امتَلَكَ مِنَ النِّعَمِ ما يَفوقُ أَحلامَهُ وَأَمانيَهُ، فَتَطَلَّعَ لِكُلِّ نِعمَةٍ امتَلَكَها غَيرُهُ، أَوَ لَـم تَكُنْ لَهُ البُحَيرَةُ يَرْعى أَسماكَها وَيَأكُلُ مِنها ما يَشتَهي، وَعِندَما يُريدُ تَذَوُّقَ اللَّحمِ، كانَتِ الـحَيَواناتُ تَأتي لَهُ طَواعِيَةً يَقودُها العَطَشُ! مُنذُ مَتى كانَ لِلتَّماسيحِ أَجنِحَةٌ فَتُطالِبُ بِمُلْكِ السَّماءِ؟ مُنذُ مَتى عَرَفَتِ التَّماسيحُ طُرُقَ الأَرضِ وَأَودِيَتَها لِتَدَّعي مُلْكَها؟!

وَمَعَ ذلِكَ، ها هُوَ "هاشُ" الَّذي أَرادَ كُلَّ شَيءٍ، فَحَظِيَ بِكُلِّ شَيءٍ، وَحُرِمَ مِنَ النَّظَرِ لِأَيٍّ مِن تِلكَ الأَشياءِ! لَسَوفَ يَرحَلُ "هاش" حَزينًا كَما رَحَلَ "كا-رونُ"؛ لِأَنَّ قَلبَهُ لَـم يَعرِفِ الرِّضا".

واخْتَتَمَتْ "ساشا" مَرثِيَّتَها الـحَزينَةَ بِأَن قالَتْ عَن "أوزيرَ" الـمَلِكِ:

"مِسكينٌ! هُوَ الأَسَدُ الوَحيدُ "أوزيرُ"، سَيِّدُ البَرِّيَّةِ وَوَريثُ الـمُلوكِ العِظامِ، كانَ العالَـمُ كُلُّهُ في قَبضَةِ يَدِهِ، وَلكِنَّ طَمَعَهُ أَفقَدَهُ كُلَّ شَيءٍ، فَعاشَ يُطارِدُ الأَوهامَ، وَمَنَحَ أُذُنَيهِ لِلأَشرارِ، يَستَمِعُ لَهُم بِكُلِّ نَصيحَةٍ خَبيثَةٍ. لَقَد ماتَ "أوزيرُ" الـمِسكينُ، بَينَما رِفاقُهُ ناموا

مُتْخَمي البُطونِ بَعدَما شَبِعوا مِن لَحمِهِ وَعِظامِهِ... أينَ "أوزيرُ" وَأينَ مَـملَكَتُهُ؟!...

فَرَّقَها الطَّمَعُ وَطَوَتْها مَعِدَةُ العَينورِ(1)!

وَهكَذا انتَهى حُكمُ الـمَلِكِ "كا-رون"، وَرَحَلَتْ مَـملَكَتُهُ.

لَـم يَتَوَقَّعْ أَيُّ أَحَدٍ نِهايَةَ الـمَلِكِ العَظيمِ "كا-رون" بَعدَ سَنَواتٍ طَويلَةٍ مِنَ الـحُكمِ وَالسُّلطَةِ وَالنُّفوذِ! وَسَطَ الرِّمالِ، كانَ جَسَدُ الـمَلِكِ مُلقًى عاجِزًا عَنِ الـحَرَكَةِ، وَتَتَدَفَّقُ الدِّماءُ الحارَّةُ مِن أرجُلِه.

لَـم يَستَطِعْ أَيٌّ مِن جُنودِ الـمَلِكِ أَو حاشِيَتِهِ أَن يُسعِفَهُ، وَلكِنَّهُم لَـم يَترُكوهُ مُلْقًى عَلى الأَرضِ وَسَطَ البَرِّيَّةِ لِكَي تَأكُلَ جَسَدَهُ الضَّواري، لَـم يَستَطِعْ جُنودُ الـمَلِكِ حَـمْلَ جَسَدِ سَيِّدِهِم، لَوْلا مُساعَدَةُ أَبناءِ عُمومَتِهِ ذَوي الأَجسادِ القَوِيَّةِ، بِالرَّغمِ مِن أَنَّ أَقارِبَهُ هُم أَكثَرُ مَن تَعَرَّضَ لِلاضطِهادِ في حَياةِ الـمَلِكِ الَّتي شارَفَتْ عَلى الانتِهاءِ.

حُـمِلَ جَسَدُ الـمَلِكِ عَلى الأَكتافِ حَتّى قَصرِهِ الـمُرتَفِعِ، وَهُناكَ جَلَسَ الـمَلِكُ الـمُحتَضَرُ بِمُفرَدِهِ مَعَ وَريثِهِ الأَميرِ "را-كون"، لَـم يَكُنْ هُناكَ الكَثيرُ مِنَ الوَقتِ لِيَقضِيَهُ مَعَ ابنِهِ الوَحيدِ، إلّا أَنَّهُ مَنَحَهُ خَـمسَ وَصايا، فَقالَ:

"اصنَعِ الـخَيرَ وَاترُكْهُ، فَسَيَأتي يَومٌ وَيَأتيكَ عِندَما تَـحتاجُ إِلَيهِ.

احفَظْ أَهلَكَ، فَهُم مَن سَيَحمِلونَ جُثمانَكَ.

(1) **العَينورُ: الضَّبعُ.**

إيّاكَ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ فيهِ هَلاكَ مَن تُـحِبُّ قَبلَ هَلاكِكَ.

اقنَعْ بِما تَـملِكُ.

لا تَتَطَلَّعْ نَحوَ السَّماءِ قَبلَ أَن تَتَأَكَّدَ أَنَّ أَقدامَكَ ثابِتَةٌ فَوقَ الأَرضِ".

ثُمَّ دَعا الـمَلِكُ الـجُنودَ وَبَني عُمومَتِهِ وَكُلَّ أَفرادِ عائِلَتِهِ، وَاجتَمَعَتِ الرَّعِيَّةُ كُلُّها حَولَ قَصرِ الـمَلِكِ، وَهُناكَ نُصِّبَ الأَميرُ "را- كون" مَلِكًا.

وَغادَرَ نورُ الـحَياةِ عَينَ الـمَلِكِ، فَابْيَضَّتْ وَهُوَ يُراقِبُ جُنودَهُ، وَرَعِيَّتَهُ يُقسِمونَ الوَلاءَ وَالطّاعَةَ لِـمَليكِهِمُ الـجَديدِ.




النِّهايَةُ